أَثَـرُ النَّحْـوِ الكُوفِـيِّ فِـي الوُصُـولِ إِلَـى المَعْنَـى مِـن خِـلالِ التَّفْسِيْـرِ الكَبِيْـرِ للفَخْـرِ الـرّازيّ

د.شريـف عبدالكريـم النّجّـار
أستـاذ مشـارك فـي النّحـو والصّـرف فـي كليّـة المعلّميـن فـي الأحسـاء

مُلخّص البَحْث

تُبيِّنُ هذه الدّرَاسَةُ أَهَميَّةَ المَعْنى في البَحْث النَّحْويّ عنْدَ الكُوفيّيْنَ، وقَدْ تَبيّنَ للبَاحث أَنَّ سمَات النَّحْوِ الكُوفيِّ قَدْ سَاعَدَتْ عَلَى أَنْ يَكُونَ هذا النَّحْوُ أَكْثَرَ اتّصالاً بالمَعْنى، وظَهَرَ في هذه الدّرَاسَة أَنَّهُم كَانُوا حَرِيْصِيْنَ عَلَى بَيَانِ المَعْنى وإِيْضَاحِه، وذلكَ مِنْ خِلالِ بُعْدِهُم عَنْ التّأويلِ والتَّقْديْرِ، والحـذف، والزّيادَة.

اتّخَذ الباحثُ من تَفْسِيْرِ الرَّازي مَصْدَرًا رئِيْسًا لَهُ، فَجَمَع منْهُ المَادَّةَ النَّحْوِيَّةَ الّتِي تَتَعَلّقُ بـآرَاء أَهْلِ الكُوفَة، وقَدْ دَرَسَ البَاحثُ هذه الآيَات دِرَاسَةً مُفَصَّلَةً، وعَرَضَ لأهَمَّ مَا جَاءَ فِيْها مِنْ آرَاء للنُّحَاة والمُفَسِّرِيْن وبَيَّنَ مَدَى اهْتِمَامِ الكُوفِيّيْنَ بالمَعْنى، وقَدْ استَعْانَ بجُملَة من المَصَادِر، أَهَمُّها كُتُبُ التَّفْسِـيْرِ وذلك لِعَلاقَتِها بِمَوْضُوعِ البَحْث.

مقدّمة

الحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِيْنَ والصّلاةُ والسّلامُ عَلَى إِمَامِ الهُدى وسَيّدِ المُرْسَلِيْنَ مُحَمَّد بـن عبـدالله وعَلَى آلِه الّذينَ اهْتَدَوا بِهَدْيِه وسَارُوا عَلَى نَهْجِه، وصَحْبِه الّذين سَلَكُوا سَبِيْلَ الإِيْمَانِ، ودَعَوا إِلى دِيْنِه بِالإِحْسَانِ، وبَعْدُ:

فَإِنَّ المَعْنى هو الأَصْلُ الّذي يَنْبَغي أَنْ يُعْتَمَدَ عَلَيْه في التَّحْلِيْلِ النَّحْوِيِّ، وذلكَ لأَنَّ الكَلامَ مـرْآةٌ للمَعَاني المَوْجُودَة في الذّهْنِ، ولِذلكَ قَالُوا: الإِعْرَابُ فَرْعُ المَعْنى، فالمَعْنى هو المَنارَةُ الّتِي يَنْبَغي أَنْ يَسْتَنِيْرَ المُعْرِبُ بها، فلا يَكُونُ إِعْرَابُهُ إِلاّ بَيانًا لِمَا فَهِمَهُ مِنْ مَعْنى، فالمُعْرِبُ يَقُومُ بِتَحْدِيْد وَظِيْفَة نَحْوِيَّة للكَلِمَة، وهذه الوظِيفَةُ تُنبئُ عَن المَعْنى الّذي فَهِمَهُ، فالمَعْنى لا يَتَّضِحُ إِلاّ بِالإِعْرَاب؛ ولذلكَ كَانَ لِزَامًـا عَلَـى المُعْرِبِ أَنْ يَفْهَمَ المَعْنى.

وتَمَيَّزَ النَّحْوُ الكُوفيُّ عَنْ غَيْرِه بكَثْيرٍ من السِّمَات، منْها أنّه كَانَ يَهْتَمُّ بالنُّصُوص المَسْمُوعَة في التَّقْعِيْد، وهذا يَعْنِي تَغْلِيْبَ السَّمَاعِ عَلَى القِيَاسِ في النَّظَرِ إلى النُّصُوص، وهذا يَجْعَلُ النَّحْوَ الكُوفيَّ غَيْرَ مُرْتَبِطٍ بالقَاعِدَة النَّحْوِيَّة القَسْرِيَّة الّتي تَفْرِضُ عَلَيْه اللُّجُوءَ إلى التَّأْوِيْلِ والتَّقْدِيْرِ والحَذْف، ممّا يُؤدّي إلى حَمْلِ النُّصُوصِ عَلَى غَيْرِ ظَاهِرِها، ثُمّ إنّ هذا الحَمْلَ قدْ يؤَثِّرُ عَلَى المَعْنى، فيُفْسِدُهُ، ويَنْقُلُ الكَلامَ من مَعْنى إلى آخَرَ، فالسِّمَاتُ الّتي اتّسَمَ بها النَّحْوُ الكُوفيِّ جَعَلَتْهُ أَكْثَرَ اتِّصالاً بالمَعْنى.

وقَدْ رَأَيْتُ أَن أَقدّمَ في هذا البَحْث دِرَاسَةً لمَجْمُوعَة منْ آيَات القُرْآن الكَرِيْم، أُبَيِّنُ خلالَها مَدَى اهْتِمَامِ الكُوفِيّيْنَ بالمَعْنى، وعَلاقَة نَحْو الكُوفِيّيْنَ بتَبِيْنَ هذا المَعْنى، ووسَمْتُهُ بـ(أَثَرِ النَّحْوِ الكُوفيِّ في الوُصُولِ إلى المَعْنى منْ خلالِ تَفْسِيْرِ الرّازيّ)، مَدْفُوعًا بأُمُورٍ، منْها الرَّغْبَةُ في بَيَانِ مَدَى اهْتِمامِ الكُوفِيّيْنَ بالمَعْنى منْ خلالِ إعْرَابِهم لآيَات القُرآن الكَرِيْم، إذْ لَمْ يَتَطَرَّقْ إلى هذا الأَمْرِ أَحَدٌ من البَاحِثِيْنَ، ومنْها إظْهارُ بعْضِ سِمَاتِ النَّحْوِ الكُوفيّ وعَلاقَتِها بَالمَعْنى، ومنْها إبْرازُ بَعْضِ أَسْبَابِ الخِلافِ بَيْنِ البَصْرِيّيْنَ والكُوفِيّيْنَ في إعْرابِ الآيَاتِ القُرآنيّة.

ورَأَيْتُ أَنْ أَتَّخِذَ مْنْ تَفْسِيْرِ الفَخْرِ الرّازيِّ المَوْسُومِ بـ(مَفَاتِيْحِ الغَيْبِ) مَصْدَرًا رَئِيْسًا للمَادَّةِ النَّحْوِيَّة، فَجَمَعْتُ منْهُ آرَاءَ الكُوفِيّيْنَ، فَوَجَدْتُها كَثِيْرَةً؛ وهي تَشْمَلُ آرَاءَ الكِسَائيِّ، والفَرّاء، وهشَامٍ، وثَعْلَب، فَرَأَيْتُ أَنْ أَقْتَصِرَ عَلَى الآرَاءِ الّتي عَزَاها إلى الكُوفِيّيْنَ عَامَّةً من دُونَ تَحْدِيْدِ اسْمٍ منْهُم، فاجْتَمَعَ لَدَيَّ قَدْرٌ كَبِيْرٌ منها، فقُمْتُ بتَرْتِيْبِها وَفْقَ وُرُودِها في القُرآن الكَرِيْم، ثُمَّ دَرَسْتُها دِرَاسَةً مُفَصَّلَةً، عَرَضْتُ فيْها آرَاءَ النُّحَاة، وبَيَّنْتُ مَدَى اهْتِمَامِ الكُوفِيّيْنَ بالمَعْنى، وقَدْ اسْتَعَنْتُ بجُمْلَةٍ من المَصَادِرِ، أَهَمُّها كُتُبُ التَّفْسِيْرِ وذلك لعَلاقَتِها بمَوْضُوعِ البَحْث.

وقَدْ بَدَأْتُ هذا البَحْثَ بمُقَدِّمَة تَحَدَّثْتُ فيْها عَنْ أَهَمِّ سِمَاتِ النَّحْوِ الكُوفي، وتَنَاوَلْتُ بَعْدَ ذلكَ الآيَاتِ الّتي تَمَّ اخْتِيارُها، وكَانَ للكُوفِيّيْنَ رَأْيٌ في تَوْجِيْهِها، فَجَعَلْتُها في مَوَاضِعَ، هي: النَّصْبُ عَلَى القَطْعِ، والنَّصْبُ عَلَى المَدْحِ، ودَلالَةُ (لَمّا) الجَازِمَة، وزِيَادَةُ الوَاوِ، وإضَافَةُ المَوْصُوفِ إلى الصِّفَة، وحَذْفُ حَرْفِ النَّفْي (لا)، والعَطْفُ عَلى اسْمِ (إنّ) قَبْلَ تَمَامِ الخَبَر.

وخَتَمْتُ هذه الدِّرَاسَةَ بخَاتِمَة تَحَدَّثْتُ فيْها عَنْ أَهمِيَّة المَعْنى في البَحْث النَّحْوِيِّ عِنْدَ الكُوفِيّيْنَ، ثُمّ بَيَّنْتُ مَجْمُوعَةً من السِّمَاتِ في المَنْهَجِ الكُوفِي الّتي سَاعَدَتْ عَلَى الوُصُولِ إلى المَعْنى، وهي سِمَاتٌ تَكَشَّفَتْ في هذه الدِّرَاسَة.

• سِمَاتُ النَّحْوِ الكُوفِيِّ

نَشَأَ الخِلافُ النَّحْوِيُّ بَيْنَ المَدْرَسَتَيْنِ بَعْدَ وَفَاةِ الخَلِيْلِ بنِ أَحْمَدَ، ولَمْ يُعْرَفْ عَنْ مَسأَلَةٍ نَحْوِيَّةٍ خِلافِيَّةٍ قَبْلَ ذلكَ، ومِنْ خِلالِ الخِلافِ النَّحْوِيِّ عُرِفَتْ المَدرَسَتَانِ، وكَانَ أَشْهَرُ هذه المَسَائِلِ مَا يُعْرَفُ بالمَسْأَلَةِ الزُّنْبُورِيَّةِ الّتِي جَرَتْ بَيْنَ رَأْسَي المَدْرَسَتَيْنِ سِيْبَوَيْهِ والكِسَائِيِّ، أَمّا مَا يُقَالُ بأَنَّ المَدْرَسَةَ الكُوفِيَّةَ بَدَأَتْ بأَبِي جَعْفَرَ الرُّؤَاسِيِّ أَوْ بمُعَاذ الهَرّاءِ[1] فَهو قَوْلٌ لا يَسْتَنِدُ إلى إثْبَاتٍ، ولا أَجِدُ مَا يَدْعَمُه في نَحْوِ الكُوفِيِّيْنَ وأَخْبَارِهم، قَالَ المَخْزُومِيُّ: "ولا نَعْلَمُ أَنَّ كُوفِيًّا كَانَ نَحْوِيًّا بالمَعْنى الدَّقِيْقِ لِهذه الكَلِمَةِ قَبْلَ الكِسَائِيِّ، فلا مُعَاذُ الهَرّاءُ ولا أَبُو جَعْفَرَ الرُّؤَاسِيُّ مِمّن نَضَعُهُم في طَبَقَةِ المُؤسّسينَ لِهذه المَدْرَسَةِ النَّحْوِيَّةِ النّاشِئَةِ"[2].

وأَرَى أَنَّ الخَلِيْلَ بنَ أَحْمَدَ كَانَ جَامِعًا للمَدْرَسَتَيْنِ، فَقَدْ تَتَلْمَذَ عَلَى يَدَيْهِ عُلَمَاءُ المَدْرَسَتَيْنِ، وأَخَذُوا مِنْ نَهْجِه، وفي نَهْجِ الخَلِيْلِ خَصَائِصُ المَدْرَسَتَيْنِ البَصْرِيَّةِ والكُوفِيَّةِ، وإِنْ لَمْ تَكُنْ هذه الخَصَائِصُ مِن الوُضُوحِ بالشَّكْلِ الّذي انْشَطَرَ، واتَّضَحَتْ مَعَالِمُهُ عِنْدَ تَلْمِيْذَيْهِ سِيْبَوَيْهِ والكِسَائِيِّ، فَقَد اهْتَمَّ سِيْبَوَيْهِ بَعْدَه بجَانِبِ القِيَاسِ، ووَسَّعَه في كِتَابِه بشَكْلٍ أَصْبَحَ سِمَةً بَارِزَةً في نَحْوِه، في حِيْنَ اهْتَمَّ الكِسَائِيُّ بالرِّوَايَةِ، فَذَهَبَ يَنْهَلُ مِنَ المَوْرِدِ الّذي نَهَلَ مِنْه الخَلِيْلُ، وهو البَوَادِي، فَتَوَسّعَ عَلَى يَدَيْهِ الاهْتِمَامُ بالرِّوَايَةِ، والشَّاهِدِ، والقِرَاءَةِ باعْتِبَارِه وَاحِدًا مِن القُرَّاءِ السَّبْعَةِ المَعْرُوفِيْنَ[3].

وقَدْ اتَّسَمَ النَّحْوُ الكُوفِيُّ بجُمْلَةٍ مِن السِّمَاتِ مَيَّزَتْهُ مِنْ نَهْجِ غَيْرِه مِن النَّحَاةِ، وهذا التَّمَيّزُ جَعَلَ مِن مَعَالِمْ نَهْجِه أُصُولاً لِمَدْرَسَةٍ ذَاتِ طَابَعٍ خَاصٍّ، وجَعَلَتْ نُحَاتِها جَمَاعَةً ذَاتَ مَنْهَجٍ ومَذْهَبٍ نَحْوِيٍّ مُتَمَيِّزٍ، وكَانَ مِنْ أَهَمّ هذه السِّمَاتِ:

أَوّلاً: الاسْتِقْرَاءُ، فاسْتِقْرَاءَ الكُوفِيِّيْنَ للّغَةِ يَخْتَلِفُ عَنْ اسْتِقْرَاءِ البَصْرِيِّيْنَ، فَلَمْ تَظْهَرْ ضَوَابِطُ في اسْتِقْرَائِهم، فهُم كَانُوا يَسْمَعُونَ مِن الأَعْرَابِ أَيًّا كَانُوا، أَمِنَ الأَعْرَابِ المَشْهُودِ لَهُمْ بالفَصَاحَةِ، أَمْ مِمّن جَاوَرُوا الحَوَاضِرَ، ومِمّنْ لانَتْ أَلْسِنَتُهُم؟ فَقَامُوا بتَدْوِيْنِ مَا يَسْمَعُونَ، ولَمْ يَتَشَدَّدُوا في مَسْمُوعَاتِهم، ومِمّا يَدُلُّ عَلَى هذا مَا قِيْلَ عَن الكِسَائِيِّ أَنَّهُ "كَانَ يَسْمَعُ الشَّاذَّ الّذي لا يَجُوزُ مِن الخَطَأ واللَّحْنِ،

(١) انظر نزهة الألباء٥٥-٥٦

(٢) مدرسة الكوفة٦٨

(٣) انظر في المدارس النحوية ، محمد حسين آل ياسين ٦٧

وشعْرِ غَيْرِ أَهْلِ الفَصَاحَة، والضَّرُورَات، فَيَجْعَلُ ذلك أَصْـلاً، ويَقيْسُ عَلَيْه حَتّى أَفْسَدَ النَّحْوَ"(٤)، وذُكِرَ كَذلكَ أَنَّهُ لَقِيَ عَشيْرَةً مِنْ بَني عَبْد القَيْس تُسَمّى الحَطْمَةُ، كَانَتْ نَازِلَةً بِبَغْدَادَ، فَأَخَذَ عَنْها كَثيْرًا من الخَطَأ واللَّحْنِ(٥)، ومِنْ ذلكَ قَوْلُ السّيوطيِّ: "اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ البَصْرِيِّيْنَ أَصَحُّ قِيَاسًا؛ لأَنَّهُم لا يَلْتَفتُونَ إلى كُلِّ مَسْمُوعٍ، ولا يَقيْسُونَ عَلَى الشّاذِّ، والكُوفيّونَ أَوْسَعُ رِوَايَةً"(٦).

ثَانيًا: يُفْهمُ من كَلامِ السُّيُوطيِّ السّابقِ أَنَّ الكُوفِيّيْنَ كَانُوا يَقيْسُونَ عَلَى القَلِيْلِ، والشّاذ، والنّادرِ مِنْ كَلامِ العَرَب، جَاءَ في الهَمْعِ: "عَادَةُ الكُوفِيّيْنَ إِذَا سَمِعُوا لَفْظًا في شِعْرٍ أَو نَادِر كَلامٍ جَعَلُوهُ بَابًا أَو فَصْلاً"(٧).

ثَالثًا: احْتَجَّ الكُوفيّونَ بالقِراءَات، وَكَانَتْ مَصْدَرًا هَامًّا مِنْ مَصَادِرِهم، أَمَّا البَصْرِيُّونَ "فَأَخْضَعُوها لأُصُولِهم وأَقْيسَتِهم، فَمَا وَافَقَ مِنْها أُصُولَهُم، ولَو بالتَّأْوِيْلِ، قَبِلُوه، ومَا أَبَاها رَفَضُوا الاحْتِجَاجَ بِه، ووصَفُوهُ بالشُّذُوذِ"(٨)، ومِنْ ذلكَ مَا جَاءَ عَنْهُم في وَصْفِ قِرَاءَة ابْنِ عَامر: "وكَذلكَ زُيِّنَ لكَثيْرٍ من المُشْرِكيْنَ قَتْلُ أَوْلادَهُم شُرَكَائِهم"(٩)، قَالَ ابْنُ عَطيَّةَ: " وهذه قِرَاءَةٌ ضَعيْفَةٌ في اسْتِعْمَالِ العَرَب"(١٠)، ومَا جَاءَ في قِرَاءَة حَمْزَةَ: "والأَرْحَامِ"(١١)، حَيْثُ قَالَ الزَّجّاجُ: "فخَطَأٌ في العَرَبيَّة، لا يَجُوزُ إلاّ في اضْطِرَارِ شعْرٍ، وخَطَأٌ أَيْضًا في أَمْرِ الدّيْنِ عظِيْمٌ"(١٢).

رَابعًا: لا يُبَالغُ الكُوفيُّونَ في اللّجُوءِ إلى التَّقْدِيْرِ والتَّأْوِيْلِ، وحَمْلِ الكَلامِ عَلَى غَيْرِ ظَاهِرِه؛ وذلك لأَنَّ التَّأْوِيْلَ والتَّقْدِيْرَ مُرْتَبطان بالحَذْف، أو بالتَّقْدِيْمِ والتّأخيْرِ، أو بالزِّيَادَة، وهذه الأُمُورُ فِيْها من التَّكَلُّفِ مُا يُبْعِدُ النَّحْوِيَّ عَنْ المَعْنى الّذي يَحْمِلُهُ ظَاهِرُ النَّصِّ، وهي مُرْتَبطةٌ بالقِيَاسِ، وقَد ظَهَرَ ممّا سَبَقَ

(٤) معجم الأدباء ١٨٣/٣

(٥) إنباه الرواة ٢٧٤/٢

(٦) الاقتراح ١٢٨

(٧) همع الهوامع ١٦٨/١

(٨) مدرسة الكوفة٣٣٧

(٩) الأنعام١٣٧/٦

(١٠) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز٣٥٠/٢

(١١) النساء١/٤

(١٢) معاني القرآن وإعرابه٦/٢

أَنَّ الكُوفِيّيْنَ كَانُوا أكثَرَ اتّصالاً بِالنُّصُوصِ واسْتِدْلالاً بِظَاهِرِها، وأَنَّهُم كَانُوا يَأخُذُونَ بالمَسْمُوعَاتِ، ويُؤثِرُونَها عَلَى القِيَاسِ.

مَسائل من نَحْو الكُوفِيّيْنَ
في التَّفْسِيْرِ الكَبِيْرِ للفَخْرِ الرّازِي

وفيما يَأتي دِرَاسَةٌ لِمَجْمُوعَةٍ من المَسَائِلِ النَّحْوِيَّةِ في تَوْجِيْهِ آيَاتٍ من القُرآنِ الكَرِيْمِ تُظْهِرُ مَدَى اهْتِمَامِ الكُوفِيِّيْنَ بالمَعْنى، وتَغْلِيْبِه عَلَى القِيَاسِ، والقَاعِدَةِ النَّحْوِيَّةِ، وقَدْ يَظْهَرُ مِنْ خِلالِ هذه الدّراسَةِ أَنَّ اهْتِمَامَهُم بالمَعْنى سِمَةٌ مِنْ سِمَاتِ نَحْوِهِم، كَما سَيَتَأَكّدُ مِنْ خِلالِها وُجُودُ بَعْضِ مَا ذَكَرتُ مِنْ سِمَاتِ الكُوفِيِّيْنَ.

المسألة الأولى: النَّصْبُ عَلَى القَطْعِ

قَوْلُهُ تَعَالَى: "وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ"[١٣].

ذَكَرَ الرَّازِيُّ في إعْرَابِ (حَنِيْفًا) رَأْيَيْنِ، هُما[١٤]:

الأَوّلُ: رَأيُ الزَّجّاجِ، فَقَدْ ذَهَبَ إلى أَنَّ (حَنِيْفًا) حَالٌ من إبْرَاهِيْمَ، قَالَ: "المَعْنى: بَلْ نَتَّبِعُ مِلَّةَ إبْرَاهِيْمَ في حَالِ حَنِيْفَتِه، ومَعْنى الحَنِيْفَةِ في اللّغَةِ المَيْلُ، فالمَعْنى أَنَّ إبْرَاهِيْمَ حَنِيْفٌ إلى دِيْنِ اللهِ"[١٥]، وأَخَذَ بِهذا الرَّأيِ الزَّمَخْشَرِيُّ، وجَعَلَهُ مِثْلَ قَوْلِكَ: (رَأَيْتُ وَجْهَ هِنْدٍ قَائِمَةً)[١٦]، والعُكْبَرِيُّ[١٧]، وابْنُ هِشَامٍ[١٨].

وهذا يَعْني أَنَّ الحَالَ من المُضَافِ إلَيْه، وهذا مَا عَدَّه كَثِيْرٌ من النُّحَاة ضَعِيْفًا، قَالَ أَبو حَيّانَ: "فَنَحْنُ لا نُجِيْزُه سَواءٌ كَانَ جُزْءًا مِمّا أُضِيْفَ إلَيْه، أَوْ كَالجُزْءِ أو غَيْرِ ذلكَ"[١٩]، ولَمْ يُجِيْزُوهُ إلاّ

(١٣) البقرة٢/١٣٥

(١٤) انظر التفسير الكبير٤/٧٤

(١٥) معاني القرآن وإعْرَابه للزّجّاج١/٢١٣

(١٦) الكشاف١/٢٢٠

(١٧) انظر التبيان١/١٢٠-١٢١

(١٨) انظر شرح شذور الذهب٣٢١

(١٩) تفسير البحر المحيط١/٥٧٧

بشُرُوط[٢٠]، والعلّةُ في ذلكَ أنّ العَاملَ في الحَالِ يَنْبَغي أنْ يَكُونَ هو العَاملَ في صَاحبِها، والعَامـلُ في المُضَافِ إلَيْه هو المُضَافُ، ولا يَصحُّ أنْ يَعْمَلَ المُضَافُ في الحَالِ[٢١].

وقَدْ وَضَّحَ الزَّجّاجُ المَعْنى المَفْهُومَ من هذا الرّأي، فالمَعْنى أنّنا نَتّبعُ إبْراهيْمَ في حَالِ حَنيْفَتـه إلى دِيْنِ اللهِ، وهذا يَقُودُنا إلى مَعْنىً آخَرَ، وهو أنّ إبْراهيْمَ قَدْ يَكُونُ في حَالٍ أُخرى، وهي أنَّهُ قَدْ يَكُونُ غَيْرَ حَنيْف؛ لأنّ مَفْهُومَ الحَالِ أنّها تَتَغَيَّرُ، والمَقْصُودُ منْ هذا القَوْلُ أنّ الحَنيْفَ وَصْفٌ ثَابتٌ لإبْرَاهيْمَ علَيْـه السّلامُ، فإبْرَاهيْمُ هو الحَنيْفُ نَفْسُه، ولَيْسَتْ هذه حَالاً منْ أحْوَاله.

الثّاني: رَأْيُ نُحَاةِ الكُوفَة، وهو النَّصْبُ عَلَى القَطْعِ[٢٢]، قَالَ الرّازيُّ: "أرَادَ: بَلْ مِلّةَ إبْـرَاهيْمَ الحَنيْف، فَلَمَّا سَقَطَتْ الألفُ واللاّمُ لَمْ تَتْبع النّكرَةُ المَعْرِفَةَ، فَانْقَطَعَ منْهُ، فَانْتَصَبَ"[٢٣]، وهذا يَعْـني أنّ الكَلمَةَ في أصْلها وَصْفٌ، ولَيْسَتْ حَالاً.

والنَّصْبُ عَلَى القَطْعِ رَأيٌ كُوفيٌّ لا يَأخُذُ به البَصْرِيُّونَ، قَالَ أبو حَيّانَ: "وهو تَخْرِيْجٌ كُوفيٌّ؛ لأنّ النَّصْبَ عَلَى القَطْعِ إنّما هو مَذْهَبُ الكُوفيّيْنَ... فَكَانَ التَّقْديْرُ: بَلْ مِلّةَ إبْرَاهيْمَ الحَنيْفَ، فَلمَا نَكّرَهُ لَمْ يُمْكنْ إتّبَاعُهُ إيّاهُ، فَنَصَبَهَ عَلَى القَطْعِ"، ثُمّ قَالَ: "وأمّا النَّصْبُ عَلَى القَطْعِ فَقَـدْ رَدَّ هـذا الأصْـلَ البَصْرِيّونَ"[٢٤].

ويَظْهرُ منْ تَقْديْرِ أبي حَيّان أنّ البَصْرِيّيْنَ يُدْرِكُونَ أنّ (حَنيْفًا) نَعْتٌ حَقيْقيٌّ في المَعْنى، ولكنَّهم ذَهَبُوا به مَذْهَبَ الحَالِ لأنّهُ خَرَجَ عَنْ النَّعْت في التّرْكيْب، وأرى أنّه بَقيَ مُحَافظًا عَلَى النّعْتيَّة في المَعْنى، وإنْ خَرَجَ في التَّرْكيب عَنْ أنْ يَكُونَ نَعْتًا، قَالَ الشَّرْجيُّ: "مَذْهَبُ البَصْرِيّيْنَ أنَّ المَنْصُوبَ الّذي كَـانَ أصْلُهُ النَّعْتَ الحَقيْقيَّ، كَقَوْلِه تَعَالَى: "وهذا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقيْمًا"[٢٥]،و"هذا بَعْلِي شَيْخًا"[٢٦]، و"فتِلْكَ

(٢٠) انظرها في توضيح المقاصد٢/٧٠٧ والتصريح٢/٦٣٩-٦٤٠ والدّرّ المصون٢/١٣٦

(٢١) انظر التبيان١/١٢٠ وأمالي ابن الشّجري١/٢٦

(٢٢) انظر هذا الرّأي في التفسير الكبير٤/٧٤و تفسير البحر المحيط١/٥٧٧ والدّرّ المصون٢/١٣٧

(٢٣) التفسير الكبير٤/٧٤

(٢٤) تفسير البحر المحيط١/٥٧٧

(٢٥) الأنعام٦/١٢٦

(٢٦) هود١١/٧٢

بُيُوتُهُم خَاوِيَةً"[٢٧]، ومَا أَشْبَهَها، مَنْصُوبٌ عَلى الحَالِ ، وعَامِلُهُ مَعْنى الفِعْلِ، وقَالَ الكُوفِيُّونَ: إنّما ذلكَ ونَحْوُه مَنْصُوبٌ عَلَى القَطْعِ؛ لأَنَّهُ قُطِعَ مِنْ لَفْظِهِ إلى لَفْظٍ آخَرَ"[٢٨].

وهذا يُشِيْرُ إلى حِرْصِ الكُوفِيّيْنَ عَلَى المَعْنى، فَلَمّا انْقَطَعَ اللّفْظُ في صُوَرتِه عَنْ أَنْ يَكُونَ نَعْتًا، وبَقِيَ مُحَافِظًا عَلَى مَعْنَاهُ في النَّعْتِيّة لَمْ يَرْغَبُوا في نَقْلِه إلى بَابٍ آخرَ؛ لأَنَّهُ يُعْطِيْنا دَلالَةَ هـذا البَـاب، وقَالُوا: إنّه مَنْصُوبٌ عَلَى القَطْعِ؛ لأَنَّهُ قُطِعَ عَنْ لَفْظِه ولَيْسَ مَعْناهُ إلى لَفْظٍ آخَرَ، فَمِنْ شِدَّة حِرْصِـهِم عَلَى المَعْنى، وبُعْدِهم عَنْ التَّأْوِيْلِ والتَّقْدِيْرِ أَوْجَدُوا هذا البابَ النَّحْوِيّ الّذي لَمْ يُقِرَّ بِه البَصْرِيُّون.

أَمّا البَصْرِيّونَ فَنَقَلُوا الكَلِمةَ مِنْ بَابِها في النَّعْتِ إلى بَابٍ آخَرَ لَهُ دَلالَةٌ أُخْرى غَيْرُ النَّعْتِيَّة، وهي الحَالِيّةُ، وهم لا يُنْكِرُونَ أَنَّ دَلالَتَها في الأَصْلِ هي النَّعْتِيَّةُ، فَأَصْبَحَتْ الكَلِمَةُ تَحْمِلُ مَعْنى الحَالِيَّة، وهي تَدُلُّ عَلَى النَّعْتِيَّة، وأَرَى أَنَّ في هذا حِرْصًا عَلَى سَلامَةِ التَّرْكِيْب، وبُعْدًا عَنْ سَلامَةِ المَعْنى.

وفي هذه المَسْأَلَة رَأْيَانِ آخَرَانِ لَمْ يَذْكُرْهُما الرّازيُّ، هُما:

الأَوّلُ: نُسِبَ إلى الأَخْفَشِ الصَّغِيْرِ أَنَّهُ مَنْصُوبٌ بِفِعْلٍ مُضمَرٍ[٢٩]، تَقْدِيْرُه: نَتَّبِع حَنِيْفًـا[٣٠]، وقَدَّرَهُ أَبُو البَقَاءِ بِـ: أَعْنِي حَنِيْفًا[٣١]، وقِيْلَ: إنّ الأَخْفَشَ يَرَى الحَالَ خَطَأً[٣٢].

الثّاني: أَنْ يَكُونَ حَالاً مِنْ (مِلّة)[٣٣]، وهو رَأْيُ ابنِ الشَّجَرِيِّ[٣٤]، ولَمْ يَمْنَعْ مِنْه أَبُو حَيَّـانَ، قَالَ: "ويُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مَنْصُوبًا عَلَى الحَالِ مِن المُضَاف، وذُكِّرَ حَنِيْفًا وَلَمْ يُؤَنِّثْ لِتَأْنِيْثِ مِلّـةٍ؛ لأَنَّـه حُمِلَ عَلَى المَعْنى؛ لأنَّ المِلّةَ هي الدّيْنُ، فَكَأَنَّه قِيْلَ: نَتَّبِعُ دِيْنَ إبْرَاهِيْمَ"[٣٥].

---

(٢٧) النمل٢٧/٥٢

(٢٨) التلاف النصرة٩٤-٩٥

(٢٩) انظر الدّرّ المصون٢/١٣٦

(٣٠) انظر تفسير البحر المحيط١/٥٧٧ والدّرّ المصون٢/١٣٦ وانظر المحرر الوجيز١/٢١٤

(٣١) انظر التّبيان١/١٢١

(٣٢) انظر الدّرّ المصون٢/١٣٦

(٣٣) انظر الدّرّ المصون٢/١٣٦ وأمالي ابن الشّجري١/٢٥

(٣٤) انظر أمالي ابن الشّجري١/٢٥

(٣٥) تفسير البحر المحيط١/٥٧٧

وأَرَى أَنَّ هذين الرَّأْيَيْن يَدُلاّن عَلَى تَنَاقُضِ مَا ذَهَبَ إِلَيْه البَصْرِيّونَ، فَذَهَابُهُم إلى الحَالِيَّة نَقَلَ الكَلِمَةَ من معْناها الأَصْليّ الّذي لَمْ تَزَلْ تَدُلُّ عَلَيْه، إلى مَعْنىً آخر بَعِيْدٍ عَنْه، وهذا مَا جَعَلَ الأَخْفَشَ يَعُدُّ هذا الرَّأيَ خَطَأً، وأَرَى أَنَّ الكُوفِيِّيْنَ في رَأْيِهم لَمْ يُخْرِجُوا الكَلِمَةَ مِنْ دَلالَتِها، ولكنَّهم جَعَلُوها في بابٍ نَحْويٍّ يَخُصُّ الأَلْفَاظَ الّتي تُقْطَعُ عَن النَّسَقِ التَّرْكِيْبِيِّ.

المسألة الثّانية: النَّصْبُ عَلَى المَدْحِ

قَوْلُهُ تَعالَى: "لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّـهِ ذَوِي الْقُرْبَـى وَالْيَتَـامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَـئِكَ الَّذِينَ صَـدَقُوا وَأُولَـئِكَ هُـمُ الْمُتَّقُونَ"[٣٦].

ذَكَرَ الإِمَامُ الرّازي في تَفْسِيْرِه رَأْيَيْنِ في تَوْجِيْهِ قَوْلِه: (وَالصَّابِرِينَ)، هما[٣٧]:

الأَوّلُ: ذَهَبَ الفَرّاءُ إلى أَنَّه مَنْصُوبٌ عَلَى المَدْحِ، قَالَ: "ونُصِبَت (الصَّابِرِين) لأَنَّها من صِفَةِ (مَنْ)، وَإِنَّما نُصِبَت لأَنَّها من صِفَةِ اسْمٍ وَاحِدٍ، فَكَأَنَّه ذَهَبَ بها إلى المَدْحِ، والعَرَبُ تَعْتَرِضُ مِنْ صِفَاتِ الوَاحِدِ إِذا تَطَاوَلَت بِالمَدْحِ أوالذَّمِ، فَيَرْفَعُونَ إِذا كَانَ رَفْعًا، ويَنْصِبُونَ بَعْضَ المَدْحِ، فَكَأَنَّهُم يَنْوُونَ إِخْرَاجَ المَنْصُوبِ بِمَدْحٍ مُجَدَّدٍ غَيْرِ مُتْبَعٍ لأَوَّلِ الكَلامِ"[٣٨].

وهذا يَعْنِي أَنَّهُ قَدْ جَاءَ في الآيَةِ قَبْلَ هذا المَنْصُوبِ أَسْمَاءٌ مَرْفُوعَةٌ، وهي قَوْلِه: "مَنْ آمَنَ بِاللهِ" وهو في مَوْضِعِ رَفْعٍ، ثُمَّ قَوْلُهُ: "والمُوفُونَ"، وهو مَرْفُوعٌ أَيْضًا، فَبَقِيَ الكَلامُ عَلَى نَسَقٍ وَاحِدٍ من الرَّفْعِ حَتّى وَصَلَ إلى قَوْلِه: "والصَّابِرِينَ" فَنَصَبَ، فَكَأَنَّه أَرَادَ أَنْ يَخُصَّ الصّابرين بما تَمَيَّزُوا بِه فَنَصَبَ، وهي عَادَةٌ لُغَوِيَّةٌ مَوْجُودَةٌ في العَرَبِيَّة، وقَد قَالَ بها الكُوفِيّونَ والبَصْرِيّونَ، فَأَجَازُوا القَطْعَ في النّعْت[٣٩]، وقَد احْتَجّ الفَرّاءُ عَلَى هذه العَادَة[٤٠] بِقَوْلِ الشّاعِرِ:

---

(٣٦) البقرة٢/١٧٧

(٣٧) انظر التفسير الكبير٥/٣٩

(٣٨) معاني القرآن للفرّاء١/١٠٥

(٣٩) انظر أمالي ابن الشّجَري٢/١٠١-١٠٣وشرح الكافية الشّافية١١٦١-١١٦٢ وشرح الرّضي٢/٣٢٢-٣٢٣زالفاخر٢/٨٠٠ والارتشاف٤/١٩٢٢-١٩٢٥

(٤٠) انظر معاني القرآن للفرّاء١/١٠٥

لا يَبْعَدَنْ قَوْمِي الذين هُمُ سَمُّ العُدَاةِ وآفةُ الجُزُر
النّازلين بكل مُعْتَرَكٍ والطَّيِّبِيْنَ مَعاقدَ الأزُر[41]

فنَصَبَ (النّازِلِيْنَ)، و (الطَّيِّبِيْن)، وفي رِوَايَةٍ برَفْعِهما، وكَذلكَ قَوْلُ الشّاعِر:

إلى المَلِكِ القَرْمِ وابْنِ الهُمَامِ وَلَيْثَ الكَتِيْبةِ في المُزْدَحَمِ[42]

ولا شَكَّ أَنَّ هذه قِيْمَةٌ بَلاغِيَّةٌ، تَدُلُّ عَلَى قِيْمَةِ المَعْنى، ودَلالَةِ الحَرَكَةِ الإعْرَابِيَّـةِ عَلَيْـه، قـالَ الفَارِسِيُّ: "فَإذا مُدِحَ وأُثْنِيَ بجُمَلٍ وضُرُوبٍ من الكَلامِ كانَ أَبْلَغَ وأَفْخَمَ، وكـذلكَ إذا ذَمّ، مِـنْ أَنْ يَمْدَحَ أَو يَذُمَّ بجُمْلَةٍ وَاحِدَةٍ وكَلامٍ وَاحِدٍ، ومِنْ ثَمَّ قُطِعَ بَعْضُ الصِفَاتِ مِنْ بَعْضٍ إذا تَلـى بَعْضُـها بَعْضًا"[43].

والظّاهِرُ لِي أَنَّ هذا رَأْيُ جُمْهُورِ البَصْرِيّيْنَ أَيْضًا، فلا خِلافَ بَيْنَهُم في نَصْبِ (الصّابِرِيْنَ) عَلَى المَدْحِ، فهو رأيُ سِيْبَوَيه[44]، والأخْفَشِ[45]، وأَبـي عُبَيْـدَةَ[46]، والزّجّـاجِ[47] والزَّمَخْشَـرِيّ[48]، والعُكْبُرِيِّ[49]، وأبي البَرَكَاتِ الأَنْبَارِيِّ[50]، وابنِ عَطِيَّةَ[51]، ومَكِّيٍّ[52].

---

(٤١) البيتان لخِرْنِقَ بنتِ هفّان القَيْسيّة في الحماسة البصريّة٢٢٧ و المقاصد النّحويّة للعيني٣/١٢٥ وحرانة الأدب٥/٤١ والكتـاب٢/٥٧-٥٨، ٦٤، ومعـاني القـرآن١/٦٥ والأصـول٢/٤٠ وشـرح الرّصي٢/٣٢٣ والمحرّر الوجيز٢/١٣٥ والبحر المحيط٣/٤١٢ والهمع٣/١٥٤ وهما بلا نسبة في معاني القرآن للفرّاء١/١٠٥ومَعاني القرآن للأخفـش١/١٦٧وتفسـير الطّـبري١/١٤٦، ٢٤/٤٠ وتفسـير القرطبي٢/٢٣٩، ٦/١٤ وإعراب القرآن للنّحّاس١/٢٨٠-٢٨١، ٥٠٥ والحمل في النّحو لابن شقير٨٩ والشّاهد في البيتين النّصب أو الرّفع عَلى المدح والذّم في (النّازلين والطّيّبين)، وهو ما يُعرف بـالقطع في النّعوت.

(٤٢) لَم أعثر على قائله، وهو بلا نسبة في معاني القرآن للفرّاء١/١٠٥ والإنصاف٢/٤٦٩ والفصول المفيدة١/١٤١ وشرح الرّصي١/٢٦٥ وحرانة الأدب١/٤٢٩، ٥/١٠٥ وتفسير البحر المحيط١/٣٦٠، ٥/٣٥٣ والتّفسير الكبير٥/٣٩، ١٩/١٦٦ والكشّاف١/٨٢ والمحرّر الوجيز٣/٢٩١ وتفسير الطّبري٢/١٠٠، ١٣/٩٢ وتفسـير القـرطبي١/٣٨٥، ٣٩٩ ،٨/٣٥٣، ٩/٢٧٨، ١٤/٢٤٥ وشـرح قطـر النّدى١/٢٩٥ والشّاهد في البيتين النّصب عَلى المدح في (ليث الكتيبة)، وهو ما يُعرف بالقطع في النّعوت.

(٤٣) العدانيات١٤٧

(٤٤) انظر الكتاب ٢/٦٣-٦٤

(٤٥) انظر معاني القرآن للأخفش١/١٦٧

(٤٦) انظر مجاز القرآن١/٦٥

(٤٧) انظر معاني القرآن وإعرابه١/٢٤٧

(٤٨) انظر الكشاف١/٢٤٥

(٤٩) انظر التبيان في إعراب القرآن١/١٤٥

(٥٠) انظر الإنصاف في مسائل الخلاف٢/٤٦٨

(٥١) انظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ١/٢٤٤

(٥٢) انظر مشكل إعراب القرآن١/١١٨

وقَدْ أَشَارَ الرّازيُّ إلى أَنَّ خِلافًا بَيْنَ الكُوفِيّيْنَ والبَصْرِيّينَ نَشأَ في هذه المَسْأَلَة، ولَمْ أَرَ أَحَدًا من النُّحَاة أَشَارَ إلى ذلكَ، وهذا الخِلافُ يَتَعَلَّقُ بِتَعْلِيْلِ هذا النَّصْبِ، وبَيَانِ كَوْنِ مَعْنى المَدْحِ والـذَمِّ عِلَّـةً للحَرَكَة الإعْرَابيَّة[٥٣].

ذَكَرَ أَنَّ الفَرّاءَ يَرَى أَنَّ "أَصْلَ المَدْحِ والذَّمِّ مِنْ كَلامِ السّامِعِ، وذلكَ أَنَّ الرَّجُلَ إذا أَخْبَرَ غَيْـرَهُ، فَقَالَ لَهُ: (قَامَ زَيْدٌ) فَرُبّما أَثْنى السّامِعُ عَلَى (زَيْد)، وقَالَ: ذَكَرْتَ واللهِ الظَّرِيْفَ، ذَكَرْتَ العَاقِـلَ، أَيْ: هو واللهِ الظَّرِيْفُ، هو العَاقِلُ، فَأَرَادَ المُتَكَلِّمُ أَنْ يَمْدَحَ بِمِثْلِ مَا مَدَحَهُ بِهِ السّامِعُ، فَجَرَى الإعْرَابُ عَلَى ذلكَ"[٥٤].

ونَقَلَ الرّازيّ عن الخَلِيْلِ أَنَّ المَدْحَ والذَّمَّ يُنْصَبَانِ عَلَى مَعْنى (أَعْنِي الظَّرِيْـفَ)[٥٥]، وهـو رأْيُ البَصْرِيِّيْنَ، وقد رَدَّ الفَرّاءُ هذا التَّقْدِيْرَ بِوَجْهَيْنِ، هُما[٥٦]: الأَوّلُ: أَنَّ (أَعْنِي) إنّما يَقَعُ تَفْسِـيْرًا للاسْـمِ المَجْهُولِ، والمَدْحُ يَأتي بَعْدَ المَعْرُوف. والوَجْهُ الثّاني أَنَّهُ لَوْ كَانَ كَذلكَ لَصَحَّ أَنْ يُقَالَ: (قَامَ زَيْدٌ أَخَاكَ) عَلَى مَعْنى (أَعْنِي أَخَاكَ)، وهذا ممّا لَمْ تَقُلْهُ العَرَبُ أَصْلاً.

ويَبْدُو لي أَنَّ هذا الخِلافَ يَتَعَلَّقُ بِمَا يُقَدَّرُ مِنْ نَاصِبٍ أَوْ رَافِعٍ، فالفَرّاءُ في النّصّ السّابق يُقَـدِّرُ الفِعْلَ (أَذْكُر)، أو (ذَكَرْتَ)، في حَالَ النَّصْب، أَمّا الخَلِيْلُ فهو يُقَدّرُ الفِعْلَ (أَعْنِي)، والفَرْقُ بَيْنَهُما هـو في مَا يُفِيْدُه الفِعْلان مِنْ مَعْنى، فالفِعْلُ الّذي يُقَدّرُه الفَرّاءُ يَتَنَاسَبُ مَع أُسْلُوبِ المَدْحِ، فالمَدْحُ لا يَكُـونُ إلاّ مَعْلُومًا عِنْدَ السّامِعِ ولَيْسَ مَجْهُولاً، أَمّا الفِعْلُ الّذي يُقَدّرُ الخَلِيْلُ فهو يَسْتَلْزِمُ أَنْ يَكُونَ المَمْدُوحُ غَيْرَ مَعْرُوفٍ عِنْدَ السّامِعِ، وهذا يَتَنَافى مع أُسْلُوبِ المَدْحِ.

والحَقُّ أَنَّ نَقْلَ الإمَامِ الرّازيّ غَيْرُ دَقِيْق، فالتَّقْدِيْرُ الّذي نَسَبَهُ للفَرّاءِ هو أَيْضًا للخَلِيْلِ بن أَحْمَدَ، قَالَ سِيْبَويه: "زَعَمَ الخَلِيْلُ أَنَّ نَصْبَ هذا عَلَى أَنَّكَ لَمْ تُرِدْ أَنْ تُحَدِّثَ النّاسَ، ولا مَنْ تُخَاطِـبُ بِـأَمْرٍ جَهِلُوهُ، ولكنّهُم قَدْ عَلِمُوا مِنْ ذلكَ مَا قَدْ عَلِمْتَ، فَجَعَلَهُ ثَنَاءً وتَعْظِيمًا، ونَصَبَه عَلَى الفِعْلِ، كَأَنَّهُ قَالَ:

(٥٣) انظر التفسير الكبير ٣٩/٥

(٥٤) التفسير الكبير ٣٩/٥

(٥٥) انظر التفسير الكبير ٣٩/٥

(٥٦) انظرهما في التفسير الكبير ٣٩/٥

أَذْكُرُ أَهْلَ ذاكَ، وأَذْكُرُ المُقِيْمِيْنَ، ولكنّه فِعْلٌ لا يُسْتَعْمَلُ إِظْهَارُه"(٥٧)، أَمّا مَا نَسَبَهُ إِلى الخَلِيْلِ فهو رَأْيُ جُمْهُورِ البَصْرِيّيْنَ(٥٨).

ممّا سَبَقَ يَتَّضِحُ - مِنْ خِلالِ نَقْلِ الرّازِيّ- أَنّ الكُوفِيّيْنَ قَدَّرُوا فِعْلاً يَتَناسَبُ مَع المَعْنى الّـذي يقتَضيه سَوْقُ الكَلامِ، وهو المَدْحُ أَو الذّمّ، وأَنّ المَمْدُوحَ مَعْلومٌ عِنْدَ السّامِعِ فقدّرُوا فِعْلاً يَتَناسَبُ مَـع هذا العِلْمِ، ومَا قَدَّرُوهُ أَوْلى ممّا قَدَّرَه غَيْرُهم في هذا المَوْضِعِ، وهذا يَعْني أَنّ الكُوفِيّيْنَ كَانُوا يُحَـاوِلُونَ الوُصُولَ في تَقْدِيْرَاتِهم إلى مَعْنىً دَقِيْقٍ .

وأَرَى أَنَّهُ لا فَرْق بَيْنَ تَقْدِيْرِ (أَعْني)، أو (أَذْكُرُ) أَو غَيْرَهُما مِن الأَفْعَال كـ(أَمْـدَحُ) مَـثلاً، وذلكَ لأَنّ هذه الأَفْعَالَ جَمِيْعًا ممّا لا يُسْتَعْمَلُ إِظْهَارُهُ، فلا فَائِدَةَ في تَقْدِيْرِها، وذلك لأَنّ مَعنى المَـدْحِ في هذا التَّرْكِيْبِ وَاضِحٌ للسّامِعِ، ووُضُوحُ المَعْنى يَأْتي مِنْ خِلالِ أَمْرَيْنِ:

أَوَّلُهما الحَرَكَةُ الإِعْرَابِيَّة، فالتَّغْيِيْرِ في نَسَقِ الأَسْمَاءِ المَعطُوفَاتِ أَوْ النُّعُوت في الآيَةِ مِنْ الرَّفْعِ إلى النَّصْبِ أو العكس يُشِيْرُ إلى مَعْنىً جَدِيْدٍ طَرَأَ عَلَى الآيَة، وهذه هي العَادَةُ اللُّغَوِيّةُ البلاغِيّةُ المَوْجُـودَةُ في العَرَبِيَّة، وهي عَادَةٌ أَلِفَها العَرَبُ، وعَرَفَها النُّحَاةُ، وتَحَدَّثُوا عَنْها، فالحَرَكَةُ الإِعْرَابِيَّةُ هُنا دَلِيْـلٌ عَلَـى المَعْنى.

وثَانِيْهما التَّنْغِيْم، وهو مُرْتَبِطٌ بِنَسَقِ الصّوْتِ في الآيَة، فَمُسْتَوى الصّوْتِ وَاحِدٌ لا يَخْتَلِفُ، فإذا أَتَى إلى قَوْلِه: (والصّابِرِيْنَ) تَغَيّرَ صَوْتُه لِيُعَبِّرَ بِهذا التَّغْيِيْرِ في الصَّوْتِ عَنْ مَعْنىً جَدِيْدٍ في هذه الكَلِمَـة، وهذا التَّغْيِيْرِ في الصّوْتِ مُتَّبَعٌ في العَرَبِيّة، وبِخَاصَّةٍ في الأَسَالِيْبِ الإِنْفعاليَّة، وأَرَى أَنّ هذا المَوْضِعَ فِيْـهِ تَنْغِيْمٌ يَدُلُّ عَلَى قِيْمَةِ الصَّبْرِ والصّابِرِيْنَ، قَالَ في الكَشّاف: "مَنْصُوبًا عَلَى الاخْتِصَاصِ والمَدْحِ، وإِظْهَارًا لِفَضْلِ الصَّبْرِ في الشَّدَائِد ومَوَاطِنِ القِتَالِ عَلَى سَائِرِ الأَعْمَال"(٥٩)، وهذا التَّنْغِيْمُ دَلِيْلٌ عَلَى المَعْنى.

ويَرَى بَعْضُ المُحْدَثِيْنَ أَنّ هذين العُنْصَرَيْنِ (الحَرَكَةَ والتَّنْغِيْمَ) مِنْ عَنَاصِرِ تَحْوِيلِ الجُمْلَةِ مِنْ مَعْنى إِلى مَعْنىً آخَرَ(٦٠)، فَتَغَيُّرُ الحَرَكَةِ في كَلِمَةٍ يُؤَدّي إِلى تَغَيُّرِ المَعْنى، وهذا يَتَّفِقُ مَع مَا جَرَى في هذه الآيَةِ،

(٥٧) سيبويه٢/٦٥-٦٦

(٥٨) انظر معاني القرآن وإعرابه١/٢٤٧ وإعراب القرآن للنّحّاس١/٢٨٠ و مشكل إعراب القرآن١/١١٨

(٥٩) الكشاف١/٢٤٥

(٦٠) انظر في نحو اللغة وتراكيبها١٤٩-١٧٢

فقَوْلُه: (الصّابرِيْن) يَستَحقُّ الرَّفْعَ وِفْقًا لنَسَقِ الآيَةِ الكَرِيْمَة، ولكنّ تَغَيُّرَ هذه الحَرَكَةِ من الرَّفْعِ إلى النَّصْبِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الجُمْلَةَ قَدْ انْتَقَلَتْ في دَلالَتِها في هذا المَوْضِعِ لتُفِيْدَ مَعْنًى جَدِيْدًا، هو المَدْحُ.

أَمّا مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ النُّحَاةُ مِنْ تَقْدِيْرٍ في هذا المَوْضِعِ فَهُو وَسِيْلَةٌ إلى تَبْرِيْرِ الحَرَكَةِ اسْتِنَادًا إلى نَظَرِيَّةِ العَامِلِ لا إلى فَهْمِ المَعْنى، فالنُّحَاةُ لَمْ يُقَدِّرُوا (أَعْنِي)، أو (أذكُرُ) إلاّ لتَعْلِيْلِ وُجُودِ هذه الحَرَكَةِ وإسْنَادِ ذلكَ إلى أَمْرٍ لَفْظِيٍّ، لا أَنَّ هذه الحَرَكَةَ جَاءَتْ بِسَبَبِ هذا المَعْنى الجَدِيْد.

الثّاني: ذَهَبَ الكِسَائِيُّ إلى أَنَّهُ مَعْطُوفٌ عَلَى (ذَوِي الْقُرْبَى)، كَأَنَّهُ قَالَ: وآتَى المَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي القُرْبَى والصَّابِرِيْنَ[٦١]، وقَدْ رَدَّ هذا الرَّأيَ الفَرّاءُ[٦٢]، والزَّجّاجُ[٦٣]، والعُكْبَرِيُّ[٦٤]، والنَّحّاسُ، قَالَ: "وهذا القَوْلُ خَطَأٌ وغَلَطٌ بَيِّنٌ؛ لأَنَّكَ إذا نَصَبْتَ (والصّابِرِيْنَ) ونَسَقْتَهُ عَلَى (ذَوِي القُرْبَى) دَخَلَ في صِلَةِ (مَنْ)، فَقَدْ نَسَقْتَ عَلَى (مَنْ) مِنْ قَبْلِ أَنْ تَـتِمَّ الصِّـلَةُ، وفَرّقْـتَ بَـيْنَ الصِّـلَةِ والمَوْصُـولِ بالمَعْطُوف"[٦٥].

يَتّضِحُ ممّا سَبَقَ أَنّ القَاعِدَةَ النَّحْوِيّةَ تَرْفُضُ أَنْ يُعْطَفَ (الصّابِرِينَ) عَلَى (ذَوِي القُرْبَى)، وهو لا يَتَّفِقُ أَيْضًا مَع سَوْقِ الكَلامِ في الآيَةِ والمَعْنى، فاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعالَى يَذْكُرُ فيها مَجْمُوعَةً من الخِصَـالِ لا تَتَوافَرُ إلاّ في الأَنْبِيَاء، قَالَ الزَّجّاجُ: "إنّ هذا خُصُوصٌ في الأنْبِياءِ وَحْدَهُم؛ لأنّ هذه الأشْيَاءَ الّتي وُصِفَت لا يُؤَدّيها بِكُلّيّتِها عَلَى حقِّ الوَاجِبِ إلاّ الأنْبِيَاءُ عَلَيْهِم السّلامُ"[٦٦]، فَإذا عَطَفْتَ عَلَى (ذَوِي القُرْبَـى) وخَفَضْتَ لَمْ تَكُنْ صِفَةُ الصَّبْرِ في الآيَةِ من الصِّفَاتِ الّتي يَحُوزُها كُلُّ نَبِيٍّ أَوْ تَقِيٍّ، وكَانَتْ مُتَعَلّقَةً بِفِعْلِ الإِتْيَان، ولَمْ يَرِد في القُرآنِ الحَضُّ عَلَى إِتْيَانِ المَالِ إلى الصّابِرِيْنَ مَع كَثْرَةِ الحَدِيْثِ فيه عَـنِ الصّـدَقَةِ، وجَاءَ فيه أَنّ الصّبْرِ من خِصالِ المُؤمِنِيْنَ، قَالَ تَعَالَى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَـابِرُواْ وَرَابِطُـواْ

(٦١) التّفسير الكبير٣٩/٥ وانظر رأيَه في معاني القرآن للفرّاء١٠٦/١و معاني القرآن وإعرابه للزّجّاج٢٤٧/١ وتفسير القرطبي٢٤٠/٢ وفتح القـدير١٧٣/١و إعـراب القـرآن للنّحّاس٢٨١/١ و مشكل إعراب القرآن١١٨/١

(٦٢) انظر معاني القرآن للفرّاء١٠٧/١-١٠٨

(٦٣) انظر معاني القرآن وإعرابه للزّجّاج٢٤٧/١

(٦٤) انظر التبيان في إعراب القرآن١٤٥/١

(٦٥) إعراب القرآن للنّحّاس٢٨١/١

(٦٦) معاني القرآن وإعرابه للزّجّاج٢٤٦/١ وانظر معاني القرآن للفرّاء١٠٤/١

وَاتَّقُواْ اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ"[٦٧]، وقَالَ: "إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ"[٦٨]، فالأَوْلى أَنْ يُنْصَبَ (الصّابِرِيْنَ) عَلَى المَدْحِ لِتَكُونَ مِنْ صِفَةِ المُؤْمِنِيْنَ، وهي صِفَةٌ تَسْتَحِقُّ هذا المَدْحَ لِقِيْمَتِها.

المسألة الثّالثَةُ: دَلالَةُ (لَمّا) الجَازِمة

قَوْلُهُ تَعَالَى: "أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ"[٦٩].

نَقَلَ الفَخْرُ الرّازيُّ في تَفْسِيْرِه حَدِيْثَ ابْنَ عَبّاسٍ في سَبَبِ نُزُولِ هذه الآيَة، فقَالَ: "قَالَ ابْنُ عَبّاسٍ: لَمّا دَخَلَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ المَدِيْنَةَ اشْتَدَّ الضَّرَرُ عَلَيْهِم؛ لأَنَّهُم خَرَجُوا بلا مَالٍ، وتَرَكُوا دِيَارَهُم وأَمْوالَهُم في أَيْدِي المُشْرِكِيْنَ، وأَظْهَرَت اليَهُودُ العَدَاوَةَ لِرَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى تَطْيِيْبًا لِقُلُوبِهِم: أَمْ حَسِبْتُمْ"[٧٠].

وقِيْلَ في سَبَبِ النُّزُولِ عَنْ قَتَادَةَ والسّدي: "نَزَلَتْ هذه الآيةُ في غَزْوَةِ الخَنْدَقِ حِيْنَ أَصَابَ المُسْلِمِيْنَ مَا أَصَابَهُم من الجَهْدِ، والشِّدّة، والخَوْفِ، والحَرِّ، والبَرْدِ، والضِّيْقِ"[٧١].

والمَقْصُودُ مِنْ ذلكَ أَنَّ الرَّسُولَ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ وأَصْحَابَهُ كَانُوا في ضِيْقٍ شَدِيْدٍ بِسَبَبِ حَالِهِم الّتِي كَانُوا عَلَيْها، فَأَمْوالُهُم وديَارُهُم بِأَيْدِي المُشْرِكِيْنَ في مَكّةَ، وممّا يُحِيْطُ بِهِم في المَدِيْنَةِ مِنْ مَكْرِ اليَهُودِ وكَيْدِهم، ومِنْ اجْتِمَاعِ النّاسِ للقَضاءِ عَلَى هذا الدِّيْنِ، وغَيْرِ ذلكَ، فَكَانُوا بِحَاجَةٍ إلى تَسْلِيَةٍ تَطْمئِنُّ بها نُفُوسُهم، ويَزُولُ بها الخَوْفُ عَلَى أَنْفُسِهِم.

والمَعْنى في الآيَةِ أَنَّ دُخُولَ الجَنَّةِ يَحْتَاجُ إلى ابْتِلاءٍ شَدِيْدٍ، ثُمّ الصَّبْرُ عَلى ذلكَ، وهذا مَثَلُ مَنْ كَانَ قَبْلَكُم، وهذا مَا عَلَيْهِ تَفْسِيْرُ ابْنِ عَبّاسٍ، قَالَ: "أَيْ:لَمْ تُبْتَلُوا بِمِثْلِ مَا ابْتُلِيَ الّذِينَ مَضَوا مِنْ قَبْلِكُم مِن المُؤْمِنِيْنَ (مَسَّتْهُم) : أَصَابَتْهم (البَأْسَاءُ) : الخَوْفُ، والبَلايَا، والشَّدَائِدُ، (والضّرّاءُ) : الأَمْرَاضُ،

---

(٦٧) آل عِمْران٣/٢٠٠

(٦٨) العصر١٠٣/٣

(٦٩) البقرة٢/٢١٤

(٧٠) التفسير الكبير٦/١٧

(٧١) العجاب في بيان الأسباب١/٥٣٢ وانظر التفسير الكبير٦/١٧

والأَوْجَاعُ، والجُوعُ، (وزُلْزِلُوا) : حُرِّكُوا في الشِّدَّة، (حَتّى يَقُولَ الرَّسُولُ) : حَتّـى قَـالَ رَسُـولُهُم، (والّذيْنَ آمَنُوا مَعَه) :به، (مَتَى نَصْرُ اللهِ) عَلَى الأَعْدَاءِ، قَالَ اللهُ لِذلكَ النَّبِيِّ : (أَلا إِنَّ نَصْرَ اللهِ) عَلَـى الأَعْدَاءِ بِنَجَاتكُم (قَرِيْبٌ)"[٧٢].

وقَد نَقَلَ الرّازِيُّ في إعْراب (لَمّا) ودَلالَتها رَأْيَيْن، هما:

الأوّلُ: نَسَبَ إلى الكُوفِيِّيْنَ أَنَّهُم يَرَوْنَ أَنَّ (لَمّا) مُكَوَّنَةٌ مِنْ (لَمْ) الحَرْف الجَازِم، و(مَا) الزّائدَة، وقَدْ صَرَّحَ بِأَنَّها زَائدَةٌ ابْنِ شُقَيْر في الجُمل[٧٣]، والثّمـانِيْنِيِّ[٧٤]، وابْـنِ بُرْهـان[٧٥]، والبَغَـوِيِّ[٧٦]، والبَيْضَاوِيِّ[٧٧]، وابْنِ يَعِيْشَ[٧٨]، والواسطِيِّ الصَّرِيْر[٧٩].

الثّاني: نَسَبَ إلى سِيْبَوَيْه القَوْلَ بِأَنَّ (مَا) لَيْسَت زَائدَةً، قَالَ: "وقَالَ سِيْبَوَيه: (مَا) لَيْسَتْ زَائدَةً؛ لأَنَّ (لَمّا) تَقَعُ في مَوَاضِعَ لا تَقَعُ فِيْها (لَمْ) يَقُولُ الرَّجُلُ لِصَاحِبه: أَقَدِمَ فُلانٌ؟ فَيَقولُ: لَمّا"[٨٠].

ومَا ذَكَرَه الرّازِيُّ بِحَاجَة إلى بَحْث، فسِيْبَوَيه يَذْهَبُ إلى أَنَّها مُرَكَّبَةٌ، قَالَ في الكِتَاب: "و(مَـا) في (لَمّا) مُغَيِّرَةٌ لَها عَنْ حَالِ (لَمْ)، كَما غَيَّرَت (لَو) إذا قُلْتَ: (لَوْما) ونَحْوَها، أَلا تَرَى أَنَّكَ تَقُـولُ: (لَمّا)، ولا تُتْبِعُها شَيئًا، ولا تَقُولُ ذلكَ في (لَم)"[٨١].

وأَرَى أَنَّ سِيْبَوَيْه يَرَى أَنَّ (لَمّا) مَرَكَّبَةٌ مِنْ حَرْفَيْن، وهذا لا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الحَرْفَ الثّاني حَرْفٌ زَائدٌ، فـ(لا) في (لَوْلا) لَيْسَ حَرْفًا زَائدًا، فَأَرَى أَنَّ تَرْكِيْبَ الكَلِمَة مِنْ حَرْفَيْن لا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَحَدَهُما زَائدٌ يُمْكِن الاسْتِغْنَاءُ عَنْه، وقَدْ ذَهَبَ الجُمْهُورُ إلى رَأْيِ سِيْبَوَيْه، وهو أَنَّها مُرَكَّبَةٌ مِنْ (لَمْ) و(مَا)[٨٢]،

---

(٧٢) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس١/٢٩

(٧٣) انظر الجمل لابن شقير٣٢٧

(٧٤) انظر الفوائد والقواعد٥٣٢

(٧٥) انظر شرح اللّمع لابن برهان ٣٦٦/٢

(٧٦) انظر تفسير البغوي ١٨٧/١

(٧٧) انظر تفسير البيضاوي٤٩٧/١

(٧٨) انظر شرح المفصّل١١٠/٨

(٧٩) انظر شرح اللّمع في النّحو للواسطي الصّرير ١٧١

(٨٠) التّفسير الكبير١٧/٦

(٨١) الكتاب٢٢٣/٤

(٨٢) انظر الدّرّ المصون٣٨١/٢ و شرح ألفيّة ابن معطٍ للقوّاس الموصلي٣١٥/١-٣١٦ والارتشاف١٨٥٩/٤ والتّصْريح٣٦٨/٤ وتوضيح المقاصد١٢٧٤/٣

وقَدْ فُهِمَ أَنّ (مَا) لَيْسَتْ زَائِدَةً مِنْ كَلامِ سِيْبَوَيْهِ، وهو قَوْلُهُ: "و(مَا) في (لَمّا) مُغَيِّرَةٌ لَها عَنْ حَالِ (لَمْ)"، فهي قَدْ جَاءَتْ لِمَعْنىً جَدِيْدٍ.

ويَرْتَبِطُ بهذا الخلاف خلافٌ آخَرُ، وهو الخلافُ في دَلالَة (لَمّا)، فَقَدْ قَالَ بَعْدَ نَقْلِه قَوْلَ سِيْبَوَيْهِ: "قَالَ المُبَرِّدُ: إذا قَالَ القَائِلُ: (لَمْ يَأْتِني زَيْدٌ) فهو نَفْيٌ لِقَوْلِكَ: (أَتَاكَ زَيْدٌ)، وإذا قَالَ: (لَمّا يَأْتِني) فَمَعْنَاهُ أَنَّه لَمْ يَأْتِني بَعْدُ وأَنَا أَتَوَقَّعُهُ"(٨٣)، ثُمّ قَالَ: "فَعَلَى هذا قَوْلُهُ: (وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم) يَدُلُّ عَلَى أَنَّ إتْيَانَ ذلك مُتَوَقَّعٌ مُنْتَظَرٌ"(٨٤) .

فالخلافُ في ظَاهِرِ نَصِّ الرّازيّ هو في تَرْكِيبِها، ويُشِيْرُ المَضْمُونُ إلى أَنَّ الخلافَ في الدَّلالَة، وقَد صَرَّحَ سِيْبَوَيْهِ بأَنَّها تَدُلُّ عَلَى التَّوَقُّعِ، قَالَ: "وزَعَمَ الخَلِيْلُ أَنّ هذا الكَلامَ لِقَوْمٍ يَنْتَظِرُونَ الخَبَرَ"(٨٥)، وتَبِعَهُ في هذا المُبَرِّدُ(٨٦)، والزَّمَخْشَرِيُّ(٨٧)، والرَّضِيُّ(٨٨)، والبَعْلِيُّ(٨٩)، وغَيْرِهُم.

ولا يَظْهَرُ في رَأْيِ الكُوفِيِّيْنَ أَنّها تَدُلُّ عَلى التَّوَقُّعِ، فهذا لا يُمْكِنُ أَنْ يُفْهَمَ مِنْ كَلامِ الفَرّاءِ حَيْثُ قَالَ في تَفْسِيْرِ الآيَة: "مَعْناهُ: أَظَنَنْتُم أَنْ تَدْخُلُوا ولَمْ يُصِبْكُم مِثْلُ مَا أَصَابَ الّذِيْنَ قَبْلَكُم"(٩٠)، وهو رَأْيُ أَبِي حَيّانَ في الآيَة حَيْثُ قَالَ في تَقْدِيْرِ الآيَة: "الجُمْلَةُ حَالٌ، التَّقْدِيْرُ غَيْرُ آتِيْكُم مَثَلُ الّذِيْنَ خَلَوا مِنْ قَبْلِكُم"(٩١)، ويُؤَكِّدُ ذلكَ بَعْدَها فَيَقُولُ: "و(لَمّا) أَبْلَغُ في النَّفْيِ مِنْ (لَمْ)؛ لأَنَّها تَدُلُّ عَلَى نَفْيِ الفِعْلِ مُتَّصِلاً بِزَمَانِ الحَالِ، فهي لِنَفْيِ التَّوَقُّعِ"(٩٢)، لا للتَّوَقُّعِ .

---

(٨٣) التفسير الكبير٦/١٧

(٨٤) التفسير الكبير٦/١٧

(٨٥) الكتاب٤/٢٢٣

(٨٦) انظر المقتضب١/٤٣

(٨٧) الكشاف١/٢٨٣

(٨٨) انظر شرح الرّضي٤/٨٢

(٨٩) انظر الماحر٢/٥٦٨

(٩٠) معاني القرآن للفرّاء١/١٣٢

(٩١) تفسير البحر المحيط٢/١٤٨

(٩٢) تفسير البحر المحيط٢/١٤٨

وأَرَى أَنّ الخلافَ في دَلالَتِها مُرْتَبِطٌ بالخلاف في (مَا) فَمَنْ يَرَى أَنَّها لَيْسَتْ زَائِدَةً يَـرَى أَنَّهـا جَاءَت لمَعْنىً مُخْتَلِفٍ عَنْ (لَمْ)، فهي كَمَا قَالَ سِيْبَوَيْهِ: "و(مَا) في (لَمّا) مُغَيِّرَةٌ لَها عَنْ حَالِ (لَمْ)"(٩٣)، ومَنْ رَأَى أَنّها زَائِدَةٌ فهي لا تَخْتَلِفُ عِنْده عَنْ (لَمْ) إلا في تَأْكِيْد النَّفْي، قَالَ الزَّرْكَشِيُّ: "أَصْلُ (لَمّـا) (لَمْ) زِيْدَتْ عَلَيْها (مَا)، فَصَارَتْ نَفْيًا: تَقُولُ: (قَامَ زَيْدٌ)، فَيَقُولُ المُجِيْبُ بالنَّفْي: (لَمْ يَقُمْ)، فَإِنْ قُلْتَ: (قَدْ قَامَ)، قَالَ: (لَمّا يقم) لَمّا زَادَ في الإِثْبَات قَدْ زَادَ في النَّفْي"(٩٤).

وأَرَى أَنّ المَعْنى في الآيَة يَدُلُّ عَلَى أَنّ رَأيَ الكُوفِيّيْنَ هو الصّوَابُ، فالمَعْنى هو التّأكِيْدُ أَنّ الأُمَمَ السّابِقَةَ قَدْ أَصَابَها البَلاءُ الشّدِيْدُ فصَبَروا عَلَى مَا أَصَابَهَم، وهذا يَتّفِقُ مَع مَا ذَهَبَ إِلَيْه الكُوفِيُّون وتَبِعُهم أَبُوحَيّان الّذي قَالَ في تَقْدِيْره: "غَيْرُ آتِيْكُم مَثَلُ الّذِيْنَ خَلَوا مِنْ قَبْلِكُم"(٩٥)، ولا يَتّفِقُ المَعْنى مَع الرَّأيِ الآخر، فهو يَعْنِي أَنّ الأُمّةَ قَدْ يُصِيْبُها بَلاءٌ كَبَلاءِ بَنِي إِسْرَائِيْلَ في التِّيْه، أو قَوْمِ نُوحٍ، أَو قَوْمِ هُود، وغَيْرِهِم، ولَيْسَ هذا هو المَعْنى، فهو لا يَتّفِقُ مَع جَاءَ عن ابن عَبّاسٍ في تَفْسِيْرِه.

المَسْأَلَةُ الرّابِعَةُ: زِيَادَةُ الوَاوِ

قَوْلُهُ تَعَالَى: "وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِه حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ"(٩٦).

نَزَلَتْ هذه الآيَةُ بَعْدَ غَزْوَةِ أُحُد في الجَمَاعَة الّتِي خَالَفَتْ أَمْرَ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلّم ونَزَلَتْ عَن الجَبَلِ رَغْبَةً في الغَنِيْمَة، وقَد أَجْمَعَ المُفَسِّرُونَ عَلَى أَنَّ المَقْصُودَ بالفَشَلِ هو الجُبْنُ، فالمَعْنى أَنَّ المُسْلِمِيْنَ الّذِيْنَ كَانُوا عَلَى الجَبَلِ جَبُنُوا عَنْ مُلاقَاة عَدُوّهم، فَلَمّا أَصَابَهُم الجُبْنُ اخْتَلَفوا وعَصَوا أَمْرَ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلّم(٩٧)، قَالَ ابنُ عَطِيَّةَ: "والتَّنَازُعُ هو الّذي وَقَعَ بَيْنَ الرُّمَاة، فَقَالَ بَعْضُهُم:

---

(٩٣) الكتاب٤/٢٢٣

(٩٤) البرهان في علوم القرآن٤/٣٨١

(٩٥) تفسير البحر المحيط٢/١٤٨

(٩٦) آل عمران٣/١٥٢

(٩٧) انظر التفسير الكبير٩/٢٩وتفسير الطبري٤/١٢٨-١٢٩ والمحرر الوجيز١/ ٥٢٤- ٥٢٥ والدر المنثور٢/٣٤٨ وتفسير البغوي١/٣٦١ وتفسير القرطبي٤/٢٣٦ وزاد المسـير ٤٧٦/١ وفتح القدير ٣٨٩/١ وتفسير البحر المحيط٣/٨٥

الغَنِيْمَةَ الغَنِيْمَةَ، الحَقْ بنا بالمُسْلِمِيْنَ، وقَالَ بَعْضُهُم: بَلْ نَثْبُتُ كَمَا أُمِرْنا"[٩٨]، ويَتَّضِحُ مِنْ خِلالِ هذا المَعْنى أَنَّ قَوْلَهُ: "منكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ" تَفْسِيْرٌ للتَّنَازُعِ.

وقَد ذَكَرَ الرَّازِيُّ فِي تَحْدِيْدِ مَاهِيَّةِ (إذا) أَمْرَيْن، هُما[٩٩]:

الأوّلُ: (إذا) لَيْسَتْ شَرْطِيَّةً، وهي بِمَعْنى (إذْ)، و(حَتّى) غَايَةٌ، ومَعْناها (إلى أَنْ)[١٠٠]، والمَعْنى في الآيَةِ: "ولَقَدْ صَدَقَكُمْ اللهُ وَعْدَهُ حَتّى إِذَا فَشِلْتُم، أيْ: قَدْ نَصَرَكُمْ إلى أَنْ كَانَ مِنْكُمْ الفَشْلُ والتَّنَازُعُ؛ لأَنَّهُ تَعَالَى كَانَ إِنَّمَا وَعَدَهُم بِالنُّصْرَةِ بِشَرْطِ التَّقْوَى والصَّبْرِ عَلَى الطّاعَةِ، فَلَمَّا فَشِلُوا، وعَصَوا انْتَهَى النَّصْرُ"[١٠١].

الثّاني: (إذا) شَرْطِيَّةٌ، واخْتَلَفَ النُّحَاةُ فِي جَوَابِ الشَّرْطِ، فذَكَرَ الرّازِيُّ أَرْبَعَةَ أَوْجُهٍ للنُّحَاةِ فيه، هي:

الوَجْهُ الأَوّلُ: يَرَى الكُوفِيُونَ أَنَّ الجَوَابَ هو قَوْلُهُ: (وتَنَازَعْتُم)، وأَنَّ الوَاوَ فِيْهِ زَائِدَةٌ[١٠٢]، كَما زِيْدَتْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: "حَتّى إِذا جَاؤُوها وفُتِحَتْ أَبْوَابُها"[١٠٣]، والمَعْنى أَنَّ الفَشَلَ (الجُبْنُ) مُوجِبٌ للتَّنَازُعِ، فالتَّنَازُعُ نَتِيْجَةٌ للفَشَلِ، والتَّقْدِيْرُ: حَتّى إِذا فَشِلْتُم تَنَازَعْتُم وعَصَيْتُم، وقَد ذَكَرَ الرّازِيُّ أَنَّ الجَوَابَ عِنْدَ الكُوفِيِّيْنَ هو قَوْلُهُ: (وعَصَيْتُم)[١٠٤]، وهذا خِلافُ مَا وَرَدَ فِي جَمِيْعِ المَصَادِرِ.

وقَدْ ذَهَبَ الفَرّاءُ إِلى أَنّ فِي الآيَةِ تَقْدِيْمًا وتَأْخِيْرًا، قَالَ الفَرّاءُ: "يُقَالُ: إِنَّهُ مُقَدَّمٌ ومُؤَخَّرٌ، مَعْناه: حَتّى إِذا تَنَازَعْتُم فِي الأَمْرِ فَشِلْتُم، فهذه الوَاوُ مَعْنَاها السُّقُوطُ"[١٠٥]، وقَدْ أَشَارَ إِلى رَأْيِهِ جُمْلَةٍ مِن المُفَسِّرِيْن[١٠٦].

---

(٩٨) المحرر الوحيز في تفسير الكتاب العزيز١/ ٥٢٤- ٥٢٥

(٩٩) انظر التفسير الكبير٩/٢٩-٣٠

(١٠٠) انظر هذا الرّأي في التفسير الكبير٩/٢٩-٣٠ والمحرر الوحيز١/ ٥٢٤ وتفسير الثعالبي١/٣٢١ وتفسير البحر المحيط٣/٨٥

(١٠١) التفسير الكبير٩/٢٩-٣٠

(١٠٢) انظر رأيهم في التفسير الكبير٩/٢٩-٣٠ والمحرر الوحيز١/ ٥٢٤ وتفسير البغوي١/٣٦١ وفتح القدير ١/٣٨٩ وتفسير البحر المحيط٣/٨٥ والدّر المصون٣/٤٣٧

(١٠٣) الزّمر٣٩/٧٣

(١٠٤) انظر التفسير الكبير٩/٢٩-٣٠

(١٠٥) معاني القرآن للفرّاء١/٢٣٨

(١٠٦) انظر تفسير القرطبي٤/٢٣٦ وزاد المسير ١/٤٧٦ وتفسير البغوي١/٣٦١

والمَعْنى في هذا الرّأي يَخْتَلفُ عن المَعْنى في الرَّأْي السّابق، فَيَظْهَرُ مِنْ تَقْديْر الفَرّاء أَنَّ التّنازُعَ مُوجبٌ للفَشَلِ، والفَشَلُ نَاتجٌ عَن التّنازُعِ، وفي الرّأي السَّابق يَكُونُ الفَشَلُ مُوجبًا للتّنازُعِ، وكلاهُما يَنْظُرَان إلى أَنَّ الوَاوَ سَاقطَةٌ، والّذي أَرَاهُ أَنَّ الفَرّاءَ أَرَادَ بهذا التَّقْديْر تَعْيْيْنَ الجَوَاب، ولَمْ يُرِدْ بذلكَ أَنَّ الشَّرْطَ هو التّنَازُعَ، والجَوابَ هو الفَشَلُ، ويَدُلُّ عَلَى ذلكَ أَنَّهُ قَدْ عُطفَ عَلَى التّنَازُعِ بالعصْيَان لأَمْرِ الرَّسُولِ صَلّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ، وهذا العصْيَانُ لا يَصِحُّ في المَعْنى أَنْ يَكُونَ مُوجبًا للجُبْنِ، وإِنَّ مَا يُوجِبُ العصْيَانُ هو الجُبْنِ، هذا بالإِضَافَة إلى أَنَّ حَدَثَ العصْيَان كَانَ بَعْدَ أَنْ جَبُنُوا وتَنَازَعُوا.

الوَجْهُ الثّاني: يَرَى البَصْرِيُّونَ أَنَّ الجَوَابَ مَحْذُوفٌ دَلَّ عَلَيْه قَوْلُهُ: "وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللّهُ وَعْدَهُ"، والتَّقْديْرُ عِنْدَهُم: حَتّى إِذَا فَشلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ في الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحبُّونَ مَنَعَكُم اللهُ نَصْرَهُ[١٠٧]، هذا تَقْديْرُ الزَّمَخْشَرِيِّ[١٠٨]، والتَّقْديْرُ عِنْدَ ابْنِ عَطِيَّةَ: انْهَزَمْتُم[١٠٩]، وأَخَذَ بهذا الرَّأْيِ القُرْطُبِيُّ[١١٠].

وأَرَى أَنَّ الجَوَابَ في هذا الرَّأْيِ هو مَا يُفْهَمُ مِنْ قَوْلِه: "وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحبُّونَ منكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ"، فالمَعْنى العَامُّ لهذا هو أَنَّ اللهَ مَنَعَ عَنْكُم النَّصْرَ، فانْهَزَمْتُم، ولا يُمْكِنُ للهَزِيْمَةِ أَنْ تَكُونَ لولا اخْتِلافُكُم وعِصْيَانُكُم لأَمْرِ الرَّسُولِ صَلّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ.

وأَرَى أَنَّ مَا ذَهَبَ إِلَيْه الكُوفِيُّونَ أَكْثَرُ دِقَّةً في الْتِمَاسِ جَوَابِ الشَّرْط، فالمَعْنى يُشيْرُ إلى أَنَّ التّنَازُعَ والعصْيَان مِنْ مُوْجِبات الفَشَلِ (الجُبْنُ)، ولَمّا تَنَازَعُوا وعَصَوْا هُزِمُوا، ولَمْ يَكُنْ يَمْنَعُ البَصْرِيِّيْنَ من القَوْلِ بهذا إلا زِيَادَةُ الوَاوِ، قَالَ الرّازِيُّ: "واعْلَمْ أَنَّ البَصْرِيِّيْنَ إِنَّما لَمْ يَقْبَلُوا هذا الجَوَابَ لأَنَّ مَذْهَبَهُم أَنَّه لا يَجُوزُ جَعْلُ الوَاوِ زَائِدَةً"[١١١].

(١٠٧) انظر رأيهم في التفسير الكبير٩/٢٩-٣٠

(١٠٨) انظر الكشاف١/٤٥٤

(١٠٩) انظر المحرر الوجيز١/ ٥٢٤

(١١٠) انظر تفسير القرطبي٤/٢٣٦

(١١١) التفسير الكبير٩/٢٩-٣٠

أَمّا الكُوفِيُّونَ فَلَمْ يَتحَرَّجُوا مِن القَوْلِ بِزِيَادَةِ الوَاوِ إِذا كَانَ المَعْنى يُؤيِّدُهُ، وقَدْ جَاءَت عَلَى زِيَادَتِها أَدِلَّةٌ مِن القُرآنِ الكَرِيْمِ استَدَلَّ بِها الفَرّاءُ، وهي(١١٢):

١. قَوْلُه تَعالى: "فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ"(١١٣)، قَالَ الفَرّاءُ: "مَعْناهُ: نَادَيْناه".

٢. قَوْلُه تَعالى" "حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ"(١١٤)، قَالَ الفَرّاءُ: "مَعْناهُ: اقْتَرَبَ".

٣. قَوْلُهُ تَعَالَى: "حَتّى إِذا جَاؤُوها وفُتِحَتْ أَبْوَابُها"(١١٥).

الوَجْهُ الثّالِثُ: يَرَى الرَّازِيُّ أَنَّ المَعْنى يَحتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الجَوَابُ مَحْذُوفًا دَلَّ عَلَيْه قَوْلُهُ: "مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ"، والتَّقْدِيْرُ عِنْدَهُ: صِرْتُم فَرِيْقَيْنِ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ، ومَا دَفَعَهُ إِلى القَوْلِ بِهذا أَنَّ (مِنْ) للتَّبْعِيْضِ، فهي تُفِيْدُ الإِنْقِسَام(١١٦)، وهذا رَأْيٌ احْتَمَلَهُ الرَّازِيُّ، قَالَ: "وهذا احْتِمَالٌ خَطَرَ بِبَالِي"(١١٧).

وَهذا رَأْيُ أَبِي حَيّانَ(١١٨)، وهو شَبِيْهٌ بِرَأْيِ العُكْبُرِيِّ، إِذْ قَدَّرَ الجَوَابَ بِـ(بَانَ أَمْرُكُم)، قَالَ: "وَجَوَابُ (إِذَا) مَحْذُوفٌ، تَقْدِيْرُهُ: بَانَ أَمْرُكُم، ونَحْوُ ذلكَ، وَدَلَّ عَلَى المَحْذُوفِ قَوْلُهُ تَعَالَى: " مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ"(١١٩) .

وأَرَى أَنَّ المَعْنى يَرْفُضُ هذا الاحْتِمَالَ، وذلكَ لأَنَّ قَوْلَهُ: ""مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ" مُتَعَلِّقٌ فِي المَعْنى بِالتَّنَازُعِ، فالتَّنَازُعُ هو انْقِسَامُ النَّاسِ إِلى فَرِيْقَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ، فهذا القَوْلُ فِي المَعْنى تَفْصِيْلٌ للتَّنَازُعِ، وهذا يُعِيْدُنا إِلى رَأْيِ الكُوفِيِّيْنَ.

---

(١١٢) انظر معاني القرآن للفرّاء١/٢٣٨

(١١٣) الصّافّات٣٧/١٠٣-١٠٤

(١١٤) الأنبياء٢١/٩٦-٩٧

(١١٥) الزّمر٣٩/٧٣

(١١٦) انظر التفسير الكبير٩/٢٩-٣٠

(١١٧) التفسير الكبير٩/٢٩-٣٠

(١١٨) انظر تفسير البحر المحيط٣/٨٥ والدّرّ المصون٣/٤٣٧

(١١٩) التبيان في إعراب القرآن١/٣٠١

الوَجْهُ الرّابعُ: نَسَبَ الرّازيُّ إلى أَبي مُسْلِمٍ القَوْلَ إنَّ الجَوَابَ هو قَوْلُهُ: "ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَـنْهُمْ"، و(ثُمَّ) حَرْفٌ زَائِدٌ، والتَّقْدِيْرُ عِنْدَهُ: حَتّى إِذَا فَشِلْتُم وَكَذَا وكَذَا صَرَفَكُم عَنْهُم لِيَبْتَلِـيَكُم[120]، وقَـدْ نُسِبَ هذا القَوْلُ إلى أَبي عَلِيٍّ الفَارِسِيِّ[121]، قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: "وهذا قَوْلٌ لا يُشْبِهُ نَظَرَ أَبي عَلِيٍّ"[122]، ورَدَّه الرَّازيُّ بقَوْلِه: "وهذا الوَجْهُ في غَايَةِ البُعْدِ"[123].

يُلاحِظُ في هذه الآرَاءِ أَنَّها جَمِيْعًا مُرْتَبِطَةٌ في مَعْناها بِرَأْيِ الكُوفِيِّيْنَ، ولَمْ يَمْنَعْهُم مِـن القَـوْلِ بِرَأْيِهِم إلا الارْتِباطُ بالقَاعِدَةِ النَّحْوِيَّةِ الّتِي تَرْفُضُ زِيَادَةَ الوَاوِ، وَكَانَ الكُوفِيُّونَ يَرَوْنَ أَنَّ الشَّوَاهِدَ قَـدْ جَاءَت بِزِيادَةِ الوَاوِ، فَأَخَذَ الكُوفِيُّونَ بِها، ولَمْ يَمْنَعُوا مِنْ ذلكَ إذا كَانَ المَعْنى يَطْلُبُه.

ومِنْ خِلالِ ذلكَ كَانَ الإعْرَابُ عِنْدَ الكُوفِيِّيْنَ فَرْعًا للمَعْنى، فهو الّذي وَجَّهَ الكُوفِيِّيْنَ إلى هـذا الإعْرابِ، فَكَانَ هو المُعْتَمَدَ في الإعْرَابِ، وكَانَ المَعْنى هو المُوَجِّهَ للقَاعِدَةِ النَّحْوِيَّةِ أَيْضًا، فهُم لَمْ يَقُولُوا بِزِيَادَةِ الوَاوِ إلاّ عِنْدَما رَأَوا أَنْ المَعْنى يَدُلُّ عَلَى زِيَادَتِها.

المَسألةُ الخَامِسَةُ: إِضَافَةُ المَوْصُوف إلى الصِّفَة

قَوْلُهُ تَعَالَى: "وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاء قُلِ اللّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاء الَّلاتِي لاَ تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْـدَانِ وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا"[124].

نَزَلَتْ هذه الآيَةُ في بَنَاتِ امْرَأَةٍ تُدْعى أُمّ كَحّة ومِيْرَاثِهِنَّ مِنْ أَبِيْهِنَّ، قَالَ البَغَوِيُّ: "قَوْلُهُ تَعَالَى: "وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاء قُلِ اللّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ" الآيَةَ، قَالَ الكَلْبِيُّ عَنْ أَبي صَالِحٍ عَنْ ابنِ عَبّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما: نَزَلَتْ هذه الآيَةُ في بَنَاتِ أُمّ كَحّةَ ومِيْرَاثِهِنّ عَنْ أَبِيْهِنّ"[125].

---

(١٢٠) انظر التفسير الكبير٩/٢٩-٣٠

(١٢١) انظر المحرر الوجيز١/ ٥٢٤ وتفسير القرطبي٤/٢٣٦ وفتح القدير١/٣٨٩

(١٢٢) المحرر الوجيز١ / ٥٢٤

(١٢٣) التفسير الكبير٩/٢٩-٣٠

(١٢٤) النساء٤/١٢٧

(١٢٥) تفسير البغوي ١/ ٤٨٥ وانظر التفسير الكبير١١/٥١ وتنوير المقباس في تفسير ابن عبّاس١/٨١

ونَقَلَ الفَخْرُ الرّازيُّ في تَفْسِيْرِه خلافًا بَيْنَ النُّحَاة في قَوْلِه تَعَالَى: "يَتَامَى النِّسَاء"، وذَكَرَ أَنَّ لِكُلٍّ من الكُوفِيِّيْنَ والبَصْرِيِّيْنَ رَأْيًا في إِضَافَةِ اليَتَامى إلى النِّسَاءِ(١٢٦)، وهذه مَسْأَلَةٌ خِلافِيَّةٌ مَشْهُورَةٌ بَيْنَهُمـــا، ولَهُم فيها رأْيَان، هُما:

الأَوّلُ: يَرَى الكُوفِيّونَ أَنَّه يَجُوزُ إِضَافَةُ المَوْصُوف إلى صِفَتِه(١٢٧)، وَقَدْ أَشَارَ إلى ذلك الفَرّاءُ في تَفْسِيْرِ قَوْلِه تَعَالَى: "وَلَدَارُ الآخِرَة"(١٢٨)، قَالَ: "أُضِيْفَتْ الدّارُ إلى الآخِرَة، وهي الآخِرَةُ، وقَد تُضِيْفُ العَرَبُ الشَّيءَ إلى نَفْسِه إذا اختَلَفَ لَفْظُهُ كَقَوْلِه: "إِنَّ هذا لَـــهو حَقُّ اليَقِيْنِ"(١٢٩) والحَقُّ هو اليَقِيْنُ، ومِثْلُهُ: أَتَيْتُكَ بَارِحَةَ الأُولَى، وعَامَ الأول، ولَيْلَةَ الأُولى، ويَوْمَ الخَمِيْسِ"(١٣٠)، وتَابَعَ الكُوفِيِّيْنَ في هذه المَسْأَلَةَ البَغَوِيُّ(١٣١)، والزَّمَخْشَرِيُّ(١٣٢)، وابنُ الطَّرَوَاةِ(١٣٣)، وابنُ خَرُوف(١٣٤)، والفَخْرُ الرّازِيُّ(١٣٥).

و أَوْرَدَ الكُوفِيّونَ ومَنْ تَابَعَهُم شَوَاهِدَ كَثِيْرَةً عَلَى هذه المَسْأَلَة، مِنْها:

١- قوله تعالى: "فَأَنبَتْنَا به جَنَّات وَحَبَّ الْحَصِيد"(١٣٦).

٢- قوله تعالى: "وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيد"(١٣٧).

٣- قوله تعالى: "إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِين"(١٣٨).

٤- قوله تعالى: "وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِين"(١٣٩).

---

(١٢٦) انظر التفسير الكبير ٥١/١١

(١٢٧) انظر الارتشاف ١٨٠٦/٤ والإنصاف ٤٣٦/٢ و ائتلاف النصرة ٥٤ و شرح الرضي ٢٤٤/٢

(١٢٨) يوسف ١٠٩/١٢

(١٢٩) الواقعة ٩٥/٥٦

(١٣٠) معاني القرآن للفراء ٥٥/٢ - ٥٦

(١٣١) انظر تفسير البغوي ١/ ٤٨٥

(١٣٢) انظر الكشاف ٦٠٤/١

(١٣٣) انظر الإفصاح ٩٤

(١٣٤) انظر شرح الجمل ٦٧٧

(١٣٥) انظر التفسير الكبير ٥١/١١

(١٣٦) ق ٩/٥٠

(١٣٧) ق ١٦/٥٠

(١٣٨) الواقعة ٩٥/٥٦

(١٣٩) الحاقة ٥١/٦٩

٥- قوله تعالى: "اسْتِكْبَارًا فِي الأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ"(١٤٠).

٦- قوله تعالى: "وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوا"(١٤١).

٧- وَرَدَ عَن العَرَبِ قَوْلُهُم: (صَلاةُ الأولى)، و(مَسْجِدُ الجَامِعِ)، و(بَقْلَةُ الحَمْقَاءِ)، و(حَبَّةُ الخَضْرَاءِ)، و(لَيْلَةُ القَمْرَاءِ)، و(يَوْمُ الأوّلِ)، و(سَاعَةُ الأولَى)، و(لَيْلَةُ الأُولَى)، و(بَابُ الحَدِيْدِ)(١٤٢).

٨- قَوْلُ الشّاعِرِ:

و قَرّبَ جَانِبَ الغَرْبِيِّ يَأْدُو مَدَبَّ السَّيْلِ واجْتَنَبَ الشَّعَارا(١٤٣)

٩- قَوْلُهُ:

إذا خَاضَ عَيْنَيْهِ كَرَى النَّوْمِ لَمْ يَزَلْ لَهُ كَالِئٌ من قَلْب شَيْحَانَ فَاتِكِ(١٤٤)

الثّاني: يَرَى البَصْرِيُّونَ أَنَّهُ لا يَجُوزُ إِضَافَةُ المَوْصُوفِ إلى صِفَتِه(١٤٥)؛ لأنّ الإِضَافَةَ يُرَادُ بِها تَعْرِيفُ الجِنْسِ والتَّخْصِيْصُ، والشَّيءُ لا يَتَعَرّفُ بِنَفْسِه، ولا يَتَخَصَّصُ(١٤٦).

وقَدْ تَأَوَّلَ البَصْرِيُّونَ مَا جَاءَ بِه الكُوفِيُّونَ، قَالَ أَبُو حَيّانَ: "وذَهَبَ الأَخْفَشُ، وابْنُ السَّرَاجِ، والفَارِسِيُّ، وجُمْهورُ البَصْرِيِّيْنَ إلى أَنَّ مَنْ أَضَافَ، فَإِنَّما أَضَافَ في الأَصْلِ إلى مَوْصُوفٍ مَحْذُوف، والتَّقْدِيْرُ: صَلاةُ السّاعَةِ الأولى مِن زَوَالِ الشَّمْسِ، ومَسْجِدِ الوَقْتِ الجَامِعِ...ومَا جَاءَ مِنْهُ حُفِظَ، ولَمْ يُقَسْ عَلَيْه"(١٤٧).

وقَد ذَكَرَ الرّازِيُّ رَأْيَ البَصْرِيِّيْنَ وَرَدَّه، قَالَ: "وقَالَ البَصْرِيُّونَ: إِضَافَةُ الصِّفَةِ إلى الاسْمِ غَيْرُ جَائِزٍ، فَلا يُقَالُ: (مَرَرْتُ بِطَالِعَةِ الشَّمْسِ)؛ وذلكَ لأنَّ الصِّفَةَ والمَوْصُوفَ شَيءٌ وَاحِدٌ، وإِضَافَةِ الشّيءِ

(١٤٠) فاطر ٤٣/٣٥

(١٤١) يوسف ١٠٩/١٢

(١٤٢) انظر الارتشاف ١٨٠٦/٤

(١٤٣) البيت للراعي النميري في ديوانه ١٤٧ و انظر الإنصاف ٤٣٧ و هو بلا نسبة في اللسان (دب) ٣٧١/١ و الشاهد فيه إضافة الموصوف إلى الصفة في قوله (جانب العربي) ، و يأدوا : يمشي مشياً لا بطيئاً و لا سريعاً، و الشعار المكان ذو الشجر .

(١٤٤) البيت لتأبط شرا في ديوانه ١٥٢ و هو بلا نسبة في الإفصاح ٩٤ و الارتشاف١٨٠٧/٤ و الشاهد فيه إضافة الموصوف إلى صفته في قوله (كرى النوم)

(١٤٥) انظر الارتشاف ١٨٠٦/٤و الإنصاف ٤٣٦/٢ و ائتلاف النصرة ٥٤ و شرح الرضي ٢٤٤/٢

(١٤٦) انظر ائتلاف النصرة٥٤

(١٤٧) الارتشاف ١٨٠٦/٤

إلى نَفْسه مُحَالٌ، وهذا التَّعْلِيْلُ ضَعِيْفٌ؛ لأنَّ المَوْصُوفَ قَدْ يَبْقَى بِدُونِ الوَصْفِ، وذلكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ المَوْصُوفَ غَيْرُ الصِّفَة"(١٤٨).

ومِنْ هذا الرَّدِّ يُفْهَمُ أَنَّ البَصْرِيِّيْنَ يَرْفُضُونَ هذه الإِضَافَةَ لأَنَّ المُضَافَ هو المُضَافُ إِلَيْه، فهو منْ إِضَافَةِ الشَّيْ إِلى نَفْسه، فالنِّسَاءُ هم اليَتَامى، والمَسْجِدُ هو الجَامِعُ، والأولى هو الصّلاةُ، وهذا غَيْرُ جَائِزٍ، فَلَمْ يَقْبَل البَصْرِيُّونَ ذلكَ إلاّ بالتّأْوِيْلِ الّذي ذَكَرْتُ، فالنِّسَاءُ عِنْدَهُم غَيْرُ اليَتَامَى، والمَسْجِدُ غَيْرُ الجَامِعِ، وغَيْرُ ذلكَ، ويَرَى الكُوفِيُّونَ أَنَّهُ اخْتَلَفَ لَفْظَا المُضَافِ والمُضَافِ إِلَيْه، فإذا اخْتَلَفَ اللَّفْظَانِ جَازَ –كَمَا قَالَ الفَرّاءُ –؛ وذلكَ لأَنَّ في اخْتِلافِ اللَّفْظِ دَلالَةً عَلَى أَنّ في أَحَدِهما مَعْنى لَيْسَ في الآخَرِ، ومِنْ ها هنا أَرَى أَنَّ المَسْجِدَ يَحْمِلُ دَلالَةً لُغَوِيَّةً تَخْتَلِفُ عَنْ دَلالَةِ الجَامِعِ، وكَذلكَ غَيْرُها، فلا تَحْتاجُ هذه الإِضَافَةُ إلى تَأْوِيْلِ البَصْرِيِّيْنَ.

وهذا مَا دَفَعَ الرّازِيِّ لِيَرُدَّ رَأْيَ البَصْرِيِّيْنَ، فالمَقْصُودُ باليَتَامى في الآيَةِ البَنَاتُ والأَوْلادُ اليَتَامى المَوْجُودُونَ عِنْدَ النِّسَاءِ اللّوَاتي مَاتَ أَزْوَاجَهُنَّ، ولَوْ أَخَذْنا بِرَأْيِ البَصْرِيِّيْنَ وقُلْنا بِتَأْوِيْلِهِم؛ وذلك لأَنَّهُ لا يُضَافُ الشّيءُ إِلى نَفْسه، لارْتَكَبْنا مَحْظُورًا في المَعْنى، قَالَ الرَّازِيُّ: "ثُمَّ إِنَّ البَصْرِيِّيْنَ فَرَعُوا عَلَى هذا القَوْلِ، وقَالُوا: النِّسَاءُ في الآيَةِ غَيْرُ اليَتَامَى، والمُرَادُ بالنِّسَاءِ أُمّهاتُ اليَتَامَى أُضِيْفَتْ إِلَيْهِنّ أَوْلادُهُنَّ اليَتَامَى، ويَدُلُّ عَلَيْه أَنّ الآيَةَ نَزَلَتْ في قِصَّةِ أُمّ كَحّةَ، وكَانَتْ لَها يَتَامَى"(١٤٩).

وقَدْ أَوْرَدَ الرّازِيُّ هذا الخِلافَ في مَوْضِعَيْنِ آخَرَيْنِ، هُما:

الأَوْلُ: قَوْلُه تَعَالَى: "إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ"(١٥٠)، فالكُوفِيّونَ يَرَوْنَ أَنّ (وَعْدَ الحقِّ) مِنْ إِضَافَةِ الشَّيْ إِلى نَفْسه، ويَقْبَلُونَ ذلكَ لأنَّ اللّفْظَيْنِ (المُضَافَ والمُضَافَ إِلَيْه) مُخْتَلِفان، أَمّا البَصْرِيُّونَ فَرَفَضُوا هذه الإِضَافَةَ، وتأَوَّلُوا ذلكَ، قَالَ الرّازِيُّ: "قَوْلُهُ (وَعْدَ الْحَقّ) مِنْ بَابِ إِضَافَةِ الشَّيءِ إِلَى نَفْسه كَقَوْلِه: (حَبَّ الْحَصِيد) و(مَسْجِد الجَامِعِ) عَلَى قَوْلِ الكُوفِيّيْنَ، والمَعْنَى: وَعَدَكُم الوَعْدَ الحَقَّ، وعَلَى مَذْهَبِ البَصْرِيّيْنَ يَكُونُ التّقْدِيْرُ: وَعْدَ اليَوْمِ الحَقِّ أَو الأَمْرِ الحَقِّ"(١٥١).

(١٤٨) التفسير الكبير ٥١/١١

(١٤٩) التفسير الكبير ٥١/١١

(١٥٠) إبراهيم ٢٢/١٤

(١٥١) التفسير الكبير ٨٧/١٩

الثّاني: قَوْلُه تَعَالَى: "وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ"(١٥٢)، وتأوّلَهُ البَصْرِيُّونَ بقَوْلِهم: (جَانِبُ المَكَانِ الغَرْبِيِّ)، وقَدْ رأى الرَّازيُّ ها هنا أَنَّ إضافَةَ الشّيءِ إلى نَفسه يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مَقْبُولاً إنْ كَانَ النَّعْتُ كَالْمُتَعَيِّنِ للمَنْعُوت، وذلك كَما في هذه الآيَة، قَالَ: "لأَنَّ الشَّيءَ المَوْصُوفَ بالغَرْبِيِّ الّذي يَضَافُ إِلَيْه الجَانبُ لا يَكُونُ إلاّ مَكَانًا"(١٥٣).

يُلاحَظُ أَنَّ التَّأويْلَ الّذي يَذْهَبُ إِلَيْه البَصْرِيُّونَ يُغَيِّرُ المَعْنى، ويُفْسِدُهُ، فالمَقْصُودُ في (يَتَامى النّساءِ) اليَتَامى النّساءُ، أو النّسَاءُ اليَتَامى، فهو من إِضَافَة الشّيءِ إلى نَفْسه، وكذلكَ (وَعْدَ الحَقِّ) المَعْنى: الوَعْدُ الحَقُّ ، وغَيْرُها من الأَمْثلَة، وقَد ظَهَرَ فَسَادُ تأويلِ البَصْرِيّيْنَ عِنْدَما تَعَارَضَ تَفْسيْرُهُم اعْتمَادًا عَلى رأيهم النَّحْويّ مَع المَعْنى في قَوْله: (يَتَامى النّساءِ).

والمَعْنى في (وَعْدَ الحَقِّ) ليسَ هو (وَعْدَ اليَوْمِ الحَقِّ) كَما ذَهَبَ البَصْرِيُّون، فقد غَيّرَ هذا التَّأويْلُ المَعْنى، ولَمْ يَعُدْ هُناكَ وُجُودٌ لمَعْنى التَّوْكيْد الّذي يُفْهَمُ من اتّصَالِ المَوْصُوف بصفَته، وأَصْبَحَ المَعْنى الّذي فُهِمَ مِنْ تَأْويْلِهم مَرْفُوضًا؛ لأَنَّه لَيْسَ هو المَعْنى الّذي يُفْهَمُ مِنْ سيَاقِ الآي، فالسّيَاقُ يَقْتَضي التَّوْكيْدَ.

وأَرَى أَنَّه كَانَ الأَجْدَرُ بالبَصْرِيّيْنَ أَنْ يَقْبَلُوا هذا التَّرْكيْب، ولا يَتَأَوَّلُوهُ، ويُوافقُوا الكُوفيّيْنَ في هذا الرَّأْي، ويَضعُوا اعْتبارًا لكَثْرَة الشَّوَاهد عَلَى هذا التّرْكيْب، ولا يَقولُوا بعَدَم القيَاس عَلَيْها، وحفْظها، وهذا يُشيْرُ إلى اهْتمَام البَصْرِيّيْنَ بالقَاعدَة النَّحْويَّة اهْتمَامًا كَبيْرًا بَعيْدًا عَن كَثْرَة الشَّوَاهد للتَّرْكيْب، والمَعْنى.

وقَد كَشَفَ لَنَا هذا الخلافُ عَنْ مَظْهَرَيْن مِنْ مَظَاهر النَّحْو الكُوفي، هما الاعْتدَادُ بكَثْرَة الشَّوَاهد، والاعْتدَادُ بالمَعْنى، فهم يَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَيْسَ من المَعْقُول أَنْ يُضَافَ الشّيءُ إلى نَفْسه، لأَنَّ الإضَافَة لا تُفيْدُ شَيْئًا، ولكنَّهم لَمّا وَجَدُوا أَنَّ المَعْنى يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مَقْبُولاً مَع كَثْرَة الشّوَاهد بَحَثُوا عَنْ مُسَوِّغ لقُبُول هذا التّرْكيْب، فَذَهَبُوا إلى مُسَوِّغ اخْتلاف لَفْظَي المُضَاف والمُضَاف إِلَيْه.

(١٥٢) القصص٢٨/٤٤

(١٥٣) التفسير الكبير ٢٤/٢١٩

المسْأَلَةُ السّادسَةُ: حَذْفُ حَرْفِ النَّفْيِ (لا)

قَوْلُهُ تَعَالَى: "يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلاَلَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ ممَّا تَرَكَ وَإِن كَانُواْ إِخْوَةً رِّجَالاً وَنِسَاء فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ"(١٥٤).

نَقَلَ الفَخْرُ الرّازيُّ في إعْرَابِ قَوْلِه: " يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا" ثَلاثَةَ أَوْجُه، هي(١٥٥):

الأَوّلُ: قَوْلُ الكُوفيّيْنَ، وهو أَنَّ هُناكَ حَرْفًا مَحْذُوفًا بَعْدَ (أَنْ)، وهو (لا)(١٥٦)، قَالَ الفَرّاءُ: "مَعْنَاهُ: أَلاّ تضلُّوا؛ ولِذلكَ صَلَحَتْ (لا) في مَوْضِعِ (أنْ)"(١٥٧)، ويَرَى الكِسَائيُّ أَنَّ المَعْنى هو: (لئلاّ تَضلّوا) فَيُقَدِّرُ لام التَّعْلِيْلِ بالإِضَافَةِ إلى (لا)(١٥٨)، وقَدْ نَقَلَ النَّحَاسُ في مَعانيْه قَوْلاً لأَبي عُبَيْد يَظْهَرُ فيْه رَأْيُ الكِسَائيِّ، قَالَ: "قَالَ أَبُو عُبَيْد: فَحَدَّثْتُ الكِسَائيَّ بِحَدِيْثٍ رَوَاهُ ابْنُ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ صَلّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ أَنَّه قَالَ: "لا يَدْعُوَنَّ أَحَدُكُم عَلَى وَلَدِه أَنْ يُوَافِقَ مِن اللهِ إِجَابَةً"(١٥٩) فاسْتَحْسَنَهُ، والمَعْنى عِنْدَ أَبي عُبَيْد: لِئلاّ يُوَافِقَ مِن اللهِ إِجَابَةً"(١٦٠)، وهذا رَأْيُ أَبي عُبَيْد(١٦١)، والبَغَوِيِّ(١٦٢).

---

(١٥٤) النساء٤/١٧٦

(١٥٥) انظر التّفسير الكبير١١/٩٦

(١٥٦) انظر هذا الرّأي في التّفسير الكبير١١/٩٦ و معاني القرآن للفرّاء١/٢٩٧ ومَعاني القرآن وإعرابه للزّجّاج٢/١٣٧ والبيان في غريب إعـراب القـرآن١/٢٨١ وتفسـير أبي السعود٢/٢٦٤وتفسير البيضاوي٢/٢٨٧ وتفسير القرطبي٦/٢٩ ومعاني القرآن للنّحّاس٢/٢٤٣ وتفسير البحـر المحـيط٣/٤٢٤ وإعـراب القـرآن للنّحّـاس١/٥١١ والـدّرّ المصون٤/١٧٦وكشف المشكلات١/٣٣٤،١٦٢

(١٥٧) معاني القرآن للفرّاء١/٢٩٧

(١٥٨) انظر رأي الكسائي في معاني القرآن للنّحّاس٢/٢٤٣ وتفسير أبي السعود٢/٢٦٤ وتفسير القرطبي٦/٢٩ وتفسير البحر المحيط٣/٤٢٤

(١٥٩) الحديث في الكامل في ضعفاء الرّجال٤/١٧٧ عن ابن عمر برواية: (لا تَدْعُوا على أَنفسكم)، وهو في مَعاني القرآن للنّحّاس٢/٢٤٤ وتفسير القرطبي٦/٢٩ وتفسير البحـر المحيط٣/٤٢٤برواية (لا يَدعونّ أحدكم على ولده)

(١٦٠) معاني القرآن للنّحّاس٢/٢٤٤

(١٦١) انظر معاني القرآن للنّحّاس٢/٢٤٣ وتفسير القرطبي٦/٢٩ وتفسير البحر المحيط٣/٤٢٤

(١٦٢) انظر تفسير البغوي ١/٢٠٠

الثّاني: قَوْلُ البَصْرِيّيْنَ، وهو أَنَّ ثَمّةَ مُضَافًا مَحْذُوفًا في هذا التّرْكِيْب، وقَدّرُوهُ بـ(يُبَيّنُ اللهُ لَكُم كَرَاهَةَ أَنْ تَضِلُّوا)[١٦٣]، وقَدْ نُسِبَ هذا الرَّأْيُ إلى المُبَرِّد[١٦٤]، وأَخَذَ به الزَّمَخْشَرِيُّ[١٦٥]، وابْنُ عَطِيّة[١٦٦]، وابْنُ هِشَامٍ[١٦٧]، وأَبُو السُّعُود[١٦٨]، والبَيْضَاوِيُّ[١٦٩]، والعِلّةُ عِنْدَ المُبَرّد أَنْ (لا) لا يُمْكِنُ حَذْفُها، وحَذْفُ المُضَافِ أَسْهَلُ مِنْ حَذْفِ (لا)؛ ولذلكَ قَدّرَ المُضَافَ كَما يُقَدّرُ في قَوْلِه تَعَالى: "واسْأَل القَرْيَةَ"[١٧٠].

وقَدْ ذَكَرَ العُكْبُرِيُّ أَنَّ المَعْنى في الرَّأْيَيْنِ وَاحِدٌ، فلا فَرْقَ بَيْنَ (لئلاّ تَضِلّوا)، و(كَرَاهَةَ أَنْ تَضِلُّوا)، قَالَ: "تَقْدِيْرُهُ: مَخَافَةَ أَنْ يَلْتَمِعَ بَصَرُهُ، فهو مَفْعُولٌ لَهُ، كَقَوْلِه تَعَالَى:"يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا" أَيْ: مَخَافَةَ أَنْ تَضِلُّوا، أَوْ كَرَاهِيَةَ، والكُوفِيُّونَ يُقَدِّرُونَهُ: لئلاّ يَلْتَمِعَ بَصَرُهُ، والمَعْنى وَاحِدٌ"[١٧١].

ومَا قَالَه العُكْبُرِيُّ فِيْه نَظَرٌ؛ إِذْ لا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ النَّفْيُ والإِيْجَابُ بِمَعْنى وَاحِدٌ، فالفَرْقُ بَيْنَهُما في المَعْنى كَبِيْرٌ، فالمَعْنى في الرَّأيِ الأَوّلِ نَفْيُ الضّلالِ أَوْ عَدَمُه في رَأْيِ الفَرّاءِ، ولِعَدَمِ الضّلالِ في رَأيِ الكِسائيِّ، والمَعْنى في الرَّأيِ الثّاني مُوجَبٌ، فهو مَخَافَةُ الضّلالِ أَو كَرَاهَةُ الضّلالِ، فلَيْسَ المَعْنى وَاحِدًا.

وقَدْ فَرَّقَ الرّازيُّ بَيْنَ الرَّأَيْنِ مِنْ جِهَةِ عِلْمِ الكَلامِ، قَالَ في تَفْسِيْرِ قَوْلِه تَعالَى: "وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ"[١٧٢]: "وهذا بِنَاءٌ عَلَى مَسْأَلَةٍ كَلامِيَّةٍ، وهي أَنَّ الإِرَادَاتِ والكَرَاهَاتِ هَلْ

(١٦٣) انظر هذا الرّأي في التّفسير الكبير٩٦/١١ ومَعاني القرآن وإعرابه للزّجّاج١٣٧/٢والكشاف٦٣٣/١ والمحرر الوجيز١٤٢/٢ والبيان في غريب إعراب القرآن٢٨١/١ وتفسير أبي السعود٢٦٤/٢وتفسير البيضاوي٢٨٧/٢ وتفسير القرطبي٢٩/٦ ومعاني القرآن للنّحّاس٢٤٣/٢ وتفسير البحر المحيط٤٢٤/٣ وإعراب القرآن للنّحّاس٥١١/١ ومشكل إعـراب القرآن٢١٥/١ والدّرّ المصون١٧٦/٤وكشف المشكلات٣٣٤/١،١٦٢

(١٦٤) انظر المحرر الوجيز٤٥٦/١ وتفسير أبي السعود٢٦٤/٢ وتفسير البحر المحيط٤٢٤/٣ وإعراب القرآن للنّحّاس٥١١/١ والدّرّ المصون١٧٦/٤

(١٦٥) انظر الكشاف٦٣٣/١

(١٦٦) انظر المحرر الوجيز١٤٢/٢

(١٦٧) انظر شرح شذور الذهب٤١٩

(١٦٨) انظر تفسير أبي السعود٢٦٤/٢

(١٦٩) انظر تفسير البيضاوي٢٨٧/٢

(١٧٠) يوسف٨٢/١٢

(١٧١) إعراب ما يشكل من ألفاظ الحديث١٩٠/١

(١٧٢) الحج٦٥/٢٢

تَتَعَلَّقُ بالعَدَمِ، فَمَنْ مَنَعَ مِنْ ذلكَ صَارَ إلى التَّأْوِيْلِ الأَوَّلِ، والمَعْنى أَنَّه أَمْسَكَها لِكَيْ لا تَقَعَ، فَتَبْطُلُ النِّعَمُ الّتي أَنْعَمَ"(١٧٣).

وأَرَى أَنَّ رَأْيَ الكُوفِيِّيْنَ أَقْربُ إلى المَعْنى الّذي يُرَادُ في الآيَةِ مِنْ رَأْيِ البَصْرِيِّيْنَ، فالمَعْنى الّذي تُرشِدُ إِلَيْه الآيَةُ هو نَفْيُ الضّلال، فاللهُ عزّ وجَلَّ يُبيِّنُ لَنَا لِكَي لا نضِلَّ، ولَمْ يَرْتَبِطْ التَّبْيِيْنُ بالخَوْفِ من الضّلالِ أَوْ كَرَاهَتِه، فالعِلَّةُ في التَّبْيِيْنِ هي نَفْيُ الضّلالِ عَنّا أَبَدًا، ولَيْسَت العِلَّةُ هي الخوفُ من الضّلال.

ومِن المُلاحَظ هُنا أَنَّ البَصْرِيِّيْنِ قَيّدُوا رَأيَهُم بالقَاعِدَةِ النَّحْوِيَّة، وهي القَوْلُ بعَدَمِ جَوَازِ حَذْفِ (لا)، ولولا هذه القَاعِدَةُ لأَخَذُوا برَأْيِ الكُوفِيّيْنَ، وهذا يُشِيْرُ إلى أَنَّ الكُوفِيّينَ كَانُوا أَكْثَرَ انْطِلاقًا إلى المَعْنى، فالْتَزَمُوا بِه في أَعَارِيْبِهم، ولَمْ تَأْسِرْهُم القَاعِدَةُ النَّحْوِيَّةُ، ولَمْ يَذْهَبُوا إلى الإِغْرَاقِ في التَّأْوِيْلِ، فَكَانَ إِضْمَارُ الحَرْفِ عِنْدَهُم أَوْلى من إِضْمَارِ الاسْمِ.

الثّالثُ: رَأيُ الجُرْجَانيِّ(١٧٤)، فَقَد ذَهَبَ إلى أَنَّ المَصْدَرَ المُؤَوّلَ في مَحَلِّ نَصْبٍ مَفْعُولٍ بِه مِنْ غَيْرِ تَأويلٍ، قَالَ الرّازيُّ: "قَالَ الجُرْجَانيُّ صَاحِبُ النَّظْمِ: يُبيِّنُ اللهُ لَكُم الضَّلالَةَ لِتَعْلَمُوا أَنَّها ضَلالَةٌ فَتَجْتَنِبُوها"(١٧٥)، وتَبِعَهُ في هذا مَكِيٌّ، قَالَ:"(أَنْ) في مَوْضِعِ نَصْبٍ بِـ(يُبيِّنُ)؛ إِذْ مَعْنَاهُ: يُبيِّنُ اللهُ لَكُم الضَّلالَ لِتَجْتَنِبُوهُ"(١٧٦).

وأَرَى أَنَّ التَّقْدِيْرَ والتَّأْوِيْلَ قَدْ يُفْسِدَانِ المَعْنى، فها هو الخِلافُ بَيْنَ الكُوفِيّيْنَ والبَصْرِيّيْنَ في هذه الآيَةِ يَدُلُّ عَلَى تَغَيُّرِ المَعْنى بَيْنَ تَقْدِيْرٍ وآخَرَ، وأَرَى أَنَّ المَعْنى في هذه الآيَةِ لا يَحْتَاجُ إلى تَقْدِيْرِهم، فالمَعْنى وَاضِحٌ بلا تَقْدِيْرٍ، وهو مَا ذَكَرَه الجُرْجَانيُّ ومَكّيٌّ، ففيه إِدْراكٌ للمَعْنى دُونَ تَأْوِيْلٍ.

وقَدْ أَوْرَدَ الرّازيُّ هذا الخِلافَ في جُمْلَةٍ من الآيات القُرآنيّة، هي:

١. قَوْلُهُ تَعَالَى: "وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ"(١٧٧).

---

(١٧٣) التفسير الكبير٢٣/٥٥-٥٦

(١٧٤) انظر هذا الرّأي في التفسير الكبير١١/٩٦ وتفسير البحر المحيط٣/٤٢٤ وإعراب القرآن للنّحّاس١/٥١١ ومشكل إعراب القرآن١/٢١٥ والدّرّ المصون٤/١٧٦وكشف المشكلات١/٣٣٤،١٦٢

(١٧٥) التفسير الكبير١١/٩٦

(١٧٦) مشكل إعراب القرآن١/٢١٥-٢١٦

(١٧٧) الحج٢٢/٦٥

٢. قَوْلُهُ تَعَالَى:" وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ"(١٧٨).

٣. قَوْلُهُ تَعَالَى:" أَنْ تُصِيبُواْ قَوْمَا بِجَهَالَةٍ"(١٧٩).

المَسْأَلَةُ السّابِعَةُ: العَطْفُ عَلَى اسْمِ (إنَّ) قَبْلَ تَمَامِ الخَبَرِ

قَوْلُهُ تَعَالَى: "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللّـهِ وَالْيَـوْمِ الآخِرِ وعَمِلَ صَالِحًا فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ"(١٨٠).

اخْتَلَفَ النُّحَاةُ في العَطْفِ عَلَى اسْمِ (إنّ) بالرَّفْعِ قَبْلَ تَمَامِ الخَبَرِ، وذلـك في إعْـرَابِ قَوْلِـهِ: (والصّابِئونَ)، وكَانَ لَهُم في ذلكَ عِدَّةُ آرَاء، هي(١٨١):

الأَوّلُ: رَأيُ البَصْرِيّيْنَ، ذَهَبَ البَصْرِيُّونَ إلى أَنَّهُ لا يَجُوزُ العَطْفُ بالرَّفْعِ إلاّ بَعْدَ تَمَامِ الخَبَرِ، فَإذا كَانَ العَطْفُ قَبْلَ التَّمَامِ لَمْ يَكُنْ فِيْهِ إلاّ النَّصْبُ، فارْتِفَاعُ (الصّابِئُونَ) في الآيَةِ لَـيْسَ عَلَـى العَطْـف، ويَحْتَاجُ تَوْجِيْهِ الرَّفْعِ إلى نَظَرٍ آخَرَ، فَقَالَ سِيْبَوَيْهِ: "وأَمّا قَوْلُه عَزَّ وَجَلَّ:"والصَّابِئُونَ" فَعَلَـى التَّقْـدِيْمِ والتَّأْخِيْرِ، كَأَنَّه ابْتَدَأَ عَلَى قَوْلِه:"والصّابِئُونَ" بَعْدَمَا مَضَى الخَبَرُ"(١٨٢)، وتَابَعَـهُ ابـنُ السَّـرّاجِ(١٨٣)، والزَّجّاجُ(١٨٤)، والزَّمَخْشَرِيُّ(١٨٥)، والعُكْبُرِيُّ(١٨٦)، والأَنْبَارِيُّ(١٨٧)، وجَمِيْعُ البَصْرِيّيْنَ(١٨٨)، والتَّقْدِيْرُ:

---

(١٧٨) النحل١٦/١٥

(١٧٩) الحجرات٤٩/٦

(١٨٠) المائدة٥/٦٩

(١٨١) انظر هذه المسألة في التفسير الكبير ١٢/٤٤ و الكشاف١/٦٩٣ والمحرر الوجيز ٢/٢١٩ وتفسير البيضاوي٢/٣٤٩ وتفسير القرطبي٦/٢٤٦وتفسير السمعني١/٢٩٣و تفسير البحر المحيط٣/٥٤١ و إعراب القرآن للنّحّاس٢/٣١-٣٢ والتبيان في إعراب القرآن١/٤٥١ ومشكل إعراب القرآن١/٢٣٢ وكشف المشكلات١/٣٦٣-٣٦٥ والبيان١/٦٩-٧٠ وأسرار العربية١/١٤٦-١٤٧ و اللباب١/٢١٢ وائتلاف النصرة ١٦٧ والتبيين٣٤١ والإنصاف ١/١٨٥ وشرح الرضي٤/٣٥٢ والأشموني ١/٢٨٦ والارتشاف٣/١٢٨٨-١٢٨٩ والمتع في شرح اللّمع١/٢٨٧-٢٨٨ والتصريح٢/٦٩-٧٣ وتوضيح المقاصد١/٥٣٤-٥٣٦ واس يعيش٨/٦٩-٧٠

(١٨٢) سيبويه٢/١٥٥

(١٨٣) انظر الأصول في النحو١/٢٥٣

(١٨٤) انظر معاني القرآن وإعرابه٢/١٩٣

(١٨٥) انظر المفصل ٣٩٤

(١٨٦) انظر اللباب١/٢١٣

(١٨٧) انظر أسرار العربية١٤٧

(١٨٨) انظر معاني القرآن وإعرابه٢/١٩٣ و تفسير البحر المحيط٣/٥٤١ والمحرر الوجيز ٢/٢١٩

إِنَّ الّذِيْنَ آمَنُوا والّذِيْنَ هَادُوا والنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللهِ واليَوْمِ الآخِرِ وعَمِلَ صَالِحًا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِم ولا هُمْ يَحْزَنُونَ والصّابِئونَ كَذلكَ(١٨٩).

وقَد أَشَارَ الزَّمَخْشَرِيُّ(١٩٠)، والرّازِيُّ إِلى المَعْنى الّذي يُفِيْدُه عَدَمُ العَطْف، فَيَتَمَيَّزُ من العَطْف في المَعْنى، قَالَ الرّازِيُّ: "والفَائِدَةُ في عَدمِ عَطْفِهِم عَلَى مَنْ قَبْلَهُم هو أَنَّ الصَابِئِيْنَ أَشَدُّ الفِرَقِ المَذْكُورِيْنَ في هذه الآيَةِ ضَلالاً، فَكَأَنَّهُ قِيْلَ: كُلُّ هؤلاءِ الفِرَقِ إِنْ آمَنُوا بِالعَمَلِ الصَّالِحِ قَبِلَ اللهُ تَوْبَتَهُم، وَأَنْزَلَ ذَنْبَهُم حَتّى الصّابِئونَ، فَإِنَّهُم إِنْ آمَنُوا كَانُوا أَيْضًا كَذلكَ"(١٩١).

الثّاني: رَأيُ الكُوفِيِّيْنَ، وللكُوفِيِّيْنَ ثَلاثَةُ آرَاءٍ في هذه الآيَة، لَمْ يَذْكُر الرّازِيُّ مِنْها إِلاّ رَأْيَ الفَرّاءِ(١٩٢)، وهو جَوَازُ العَطْف بالرَّفْعِ قَبْلَ تَمَامِ الخَبَرِ، واشْتَرَطَ الفَرّاءُ أَنْ يَكُونَ الاسْمُ مِمّا لا يَظْهَرُ فِيْه أَثَرُ الإِعْرَاب، قَالَ: "فَإِنَّ رَفْعَ (الصّابِئِيْنَ) عَلَى أَنَّهُ عَطْفٌ عَلَى (الّذِيْنَ)، و(الّذِيْنَ) حَرْفٌ عَلَى جِهَةٍ وَاحِدَةٍ في رَفْعِه ونَصْبِه وخَفْضِه، فَلَمّا كَانَ إِعْرَابُهُ وَاحِدًا، وكَانَ نَصْبُ (إِنَّ) نَصْبًا ضَعِيْفًا، وضَعْفُهُ أَنَّهُ يَقَعُ عَلَى الاسْمِ ولا يَقَعُ عَلَى خَبَرِه جَازَ رَفْعُ (الصّابِئِيْنَ)، ولا أَسْتَحِبُّ أَنْ أَقُولَ: (إِنَّ عَبْدَاللهِ وزَيْدًا قَائِمَانِ) لِتَبَيُّنِ الإِعْرَابِ في عَبْدِاللهِ"(١٩٣).

واسْتَدَلَّ الفَرّاءُ بِالسَّماعِ، فقَدْ جَاءَ ذلكَ كَثِيْرًا في الشِّعْرِ، ومِنْ ذلكَ قَوْلُه:

و إِلاّ فاعْلَمُوا أَنّا و أَنْتُم بُغَاةٌ مَا حَيِيْنا في شِقَاقِ(١٩٤)

وقَوْلُه:

يَا لَيْتَنِي و أَنْتِ يَا لَمِيْسُ بِبَلَدٍ لَيْسَ بِهِ أَنِيْسُ(١٩٥)

---

(١٨٩) انظر التفسير الكبير ٤٤/١٢و معاني القرآن وإعرابه١٩٣/٢

(١٩٠) انظر لكشّاف٦٩٣/١

(١٩١) التفسير الكبير ٤٤/١٢

(١٩٢) انظر التفسير الكبير ٤٤/١٢

(١٩٣) معاني القرآن للفرّاء٣١٠/١-٣١١

(١٩٤) البيت لسُحَيم بن أبي حازم في ديوانه ١٦٥ وانظر الإنصاف١٩٠ والكتاب١٥٦/٢ وشرح أبيات سيبويه لابن السيرافي١٤/٢ وهو بلا نسبه في تحصيل عين الذهب٢٩٧ وأوضح المسالك٢٥٨/١ وشرح أبيات سيبويه للمحاس٤٧ ومَعَانِي القرآن للفرّاء٣١١/١ والشاهد فيه العطف على اسم إن قبل تمام الخبر .

(١٩٥) البيت يسب لرؤبة و العجاج وهو في زيادات ديوان رؤبة ضمن الأبيات المنسوبة له وللعجاج١٧٦ وهو للعجاج في الدرر١٨٧/٦ والبيت بلا نسبه في أوضح المسالك٢٦١/١ ومَعَانِي القرآن للفرّاء٣١١/١ و الشاهد فيه العطف على محل اسم ليت قبل تمام الخبر

وقَد أَخذَ الرّازيُّ بقَوْل الفَرّاء، مُحْتَجًّا بسَلامَة النَّظْم في رَأْي الفَرّاء، أَمّا في رَأْي البَصْـرِيِّيْنَ فَنحْتَاجُ إلى تَفْكيْك النَّظْم، قَالَ" وهو مَذْهَبٌ حَسَنٌ وأَوْلَى مِنْ مَذْهَب البَصْرِيِّيْنَ؛ لأنَّ الّـذي قَـالُوه يَقْتَضي أَنّ كَلامَ اللهِ عَلَى التَّرْتيْب الّذي وَرَدَ عَلَيْه لَيْسَ بصَحيْح، وإنّما تَحْصُلُ الصِّحَّةُ عِنْدَ تَفْكيْك هذا النَّظْم، وأَمّا عَلَى قَوْل الفَرّاء فلا حَاجَةَ إلَيْه، فَكَانَ ذلك أَوْلَى"[196].

وأَرَى أَنَّ المَعْنى في هذا الرَّأي يَخْتَلفُ عَن المَعْنى الّذي ذَكرَه الزَّمَخْشَريُّ في الرَّأي السّـابق، فالصّابئون مَعْطُوفٌ عَلَى مَا قَبْلَهُ، لا يَتَمَيَّزُ مِنْهُم، فهم من هؤلاء الخَلْق الّذيْنَ إنْ آمَنَ مِنْهُم أَحَدٌ يُقْبَـلُ مِنْهُ ذلكَ، وقَدْ رُوِيَ عَنْ سَعيْد بن جُبَيْر أَنَّهُ قَالَ: "الصّابئونَ مَنْزلَةٌ بَيْنَ اليَهُود والنَّصَارى"[197]، فهم لا يَتَمَيَّزُونَ عَنْهُم، وهم من اليَهُود والنَّصَارَى عِنْدَ الفَرّاء[198] .

وقَدْ جَاءَ إعْرَابُ الفَرّاء مُبَيِّنًا هذا المَعْنى، فلا حَاجَةَ إلى تَقْديْم وتَأْخيْر، وحَذْف خَبَـر، أَمّـا الحَرَكَةُ الإعْرَابيَّةُ فالظّاهرُ أَنَّها في هذا المَوْضع عِنْدَ الفَرّاء لا تَحْملُ أَيَّ بُعْد دَلاليٍّ، فَقَدْ عُطفَ مَرْفُوعٌ عَلَى مَا مَحَلُّه النَّصْبُ، وقَدْ جَاءَ هذا العَطْفُ في لُغَة العَرَب، وذلكَ كَما في لُغَة بَني الحَارث بن كَعْب، وقَد كَانَ هذا الإعْرَابُ من الفَرّاء لِيُحَافظَ عَلَى النَّسَق القُرآنيِّ من دُونَ تَقْديْم وتأخيْر، ولِيُبَيّنَ المَعْـنى، وهو أَنّ الصّابئينَ غَيْرُ مُتَميِّزينَ ممّا قَبْلَهم ومَا بَعْدَهُم.

أَمّا البَصْرِيُّونَ فَذَهَبُوا إلى هذا الإعْرَاب حرْصًا عَلَى القَاعدَة النَّحْويّة، فَتَأوّلوا الآيَة، وقَـدّمُوا وأَخّرُوا، وحَذفُوا خبَرًا مُوْجُودًا، فَغَيَّرُوا في المَعْنى عِنْدَما رَأوا أَنّ للصّابئيْنَ دَلالَةً مُتَميّزَةً عَنْ غَيْـرِهم، وغَيّرُوا في نَظْم الآيَة، وكَانَ هذا بسَبَب حرْصهم عَلَى مَجْمُوعَة من القَوَاعد النَّحْويَّة.

وذَهَبَ الكسَائيُّ إلى جَوَاز العَطْف بالرَّفْع عَلَى اسْم (إنّ) بلا شَـرْط، قَـالَ الفَـرّاءُ: "ولا أَسْتَحبُّ أَنْ أَقُولَ: (إنَّ عَبْدَاللهِ وزَيْدًا قَائمَان) لتَبَيُّن الإعْرَاب في عَبْدِاللهِ، وقَد كَانَ الكسَـائيُّ يُجيْـزُهُ لضَعْف (إنَّ)"[199] .

(196) التفسير الكبير ٤٤/١٢

(197) انظر تفسير ابن أبي حاتم ١١٧٥/٤

(198) انظر مَعَاني القرآن للفرّاء ٣١٢/١

(199) معاني القرآن للفرّاء ٣١٠/١-٣١١

وهو رَأيُ الأَخْفَشِ، قَالَ: "فَأَمّا هذه فَرَفْعُها عَلَى وَجْهَيْنِ: كَأَنَّ قَوْلَهُ: "إِنَّ الّذينَ آمَنُوا" في مَوْضِعِ رَفْعٍ في المَعْنى؛ لأَنَّهُ كَلامٌ مُبْتَدَأٌ؛ لأَنَّ قَوْلَه: (إِنَّ زَيْدًا مُنْطَلِقٌ)، و(زَيْدٌ مُنْطَلِقٌ) مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ فِيْهِ (إِنَّ) في المَعْنى سَوَاءٌ، فإِنْ شِئْتَ إِذا عَطَفْتَ عَلَيْهِ شَيئًا جَعَلْتَهُ عَلَى المَعْنى"[٢٠٠].

وأَرَى أَنَّ هذا الرَّأيَ أَوْلى مِنْ رَأيِ الفَرّاءِ، وذلكَ لأَنَّ الفَرّاءَ لَمْ يُحَافظْ عَلَى القِيْمةِ الدّلاليّـةِ للحَرَكَةِ الإِعْرابيَّة، فالحَرَكَةُ عِنْده لَيْسَ لَها مَعْنى، أَمّا هذا الرّأيُ فللحَرَكَةِ الإِعْرَابيَّة فيه قِيْمَةٌ دَلاليَّةٌ، وهي قِيمَتُها في العَطْف، فَالمَعْنى في هذا الرَّأيِ هو المَعْنى ذَاتُه في رَأيِ الفَرّاءِ، والنَّظْمُ هو النَّظْمُ، فلا حَـذْفَ، ولا تَقْديْمَ ولا تأخيْرَ، ويَزِيْدُ عَلَيْه أَنَّه حَافَظَ عَلى قِيْمَةِ الحَرَكة.

أَمّا الرَّأيُ الثّالثُ وهو للكِسَائيِّ فهو عَطْف الصّابئينَ عَلَى الضّـمِيْرِ في (هَـادُوا)، ويَكُـونُ (هَادُوا) بِمَعْنى قَوْلِه: "إِنّا هُدْنا إِلَيْكَ"[٢٠١]، أَي: تُبْنا، ولَيْسَ مِن اليَهُودِيَّة[٢٠٢]، وردَّه الفَرّاءُ مِنْ جهَـةِ المَعْنى، قَالَ: "وجَاءَ التَّفْسِيْرُ بِغَيْرِ ذلكَ؛ لأَنَّهُ وَصَفَ الّذيْن آمَنُوا بِأَفْوَاهِهِم ولَمْ تُؤمِنْ قُلُوبُهُم، ثُمَّ ذَكَـرَ اليَهُودَ والنَّصَارَى، فَقَالَ مَنْ آمَنَ مِنْهم فَلَه كذا، فَجَعَلَهُم يَهُودًا ونَصارَى"[٢٠٣].

وذَكَر الأَخْفَشُ هذا الرَّأيَ في وَجْهي الرَّفْعِ، قَالَ: "وقَالَ بَعْضُهُم: لَمّا كَانَ قَبْلَهُ فِعْلٌ شُبِّهَ في اللّفْظِ بِمَا يَجْرِي عَلَى مَا قَبْلَهُ، ولَيْسَ مَعْناه في الفِعْلِ الّذي قَبْلَهُ، وهو"الّذين هادُوا" أَجْرَاهُ عَلَيْه فَرَفَعَهُ بِه وإِنْ كَانَ لَيْسَ عَلَيْه في المَعْنى"[٢٠٤].

وفي المَسْأَلَة رَأيٌ خَامسٌ، وهو أَنْ تَكُونَ (إِنَّ) بِمَعْنى (نَعَم)، فَيَرْتَفِعُ مَا بَعْـدَها بالابْتِـدَاءِ، ويَكُونُ (الصّابئونَ) مَعْطُوفًا عَلَى مَا قَبْلَهُ، قَالَ أَبُو حَيّانَ: "وهذا ضَعِيْفٌ؛ لأَنَّ ثُبُوتَ (إِنّ) بِمَعْنى (نَعَم) فِيْه خِلافٌ بَيْنَ النَّحْوِيِّيْنَ، وَعَلَى تَقْدِيْرِ ثُبُوت ذلكَ مِنْ لِسَانِ العَرَبِ فَتَحْتَاجُ إِلى شَيءٍ يَتَقَدَّمُها يَكُـونُ تَصْدِيْقًا لَه، ولا تَجِيءُ ابْتِدَائِيَّةً أَوّلَ الكَلامِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَكُونَ جَوَابًا لِكَلامٍ سَابِقٍ"[٢٠٥].

---

(٢٠٠) معاني القرآن للأخفش١/٢٨٥

(٢٠١) الأعراف٧/١٥٦

(٢٠٢) انظر معاني القرآن للفرّاء١/٣١٢

(٢٠٣) معاني القرآن للفرّاء١/٣١٢

(٢٠٤) معاني القرآن للأخفش١/٢٨٥

(٢٠٥) تفسير البحر المحيط٣/٥٤١

وأَرَى أَنَّ رَأيَ الكِسَائيِّ والأَخْفَشِ، وهو جَوَازُ العَطْفِ عَلى اسْمِ (إنَّ) بالرَّفْعِ قَبْلَ تَمَامِ الخَبَرِ هو الرَّأيُ الّذي اسْتَطَاعَ تَبْيِيْنَ المَعْنى في الآيَةِ مِنْ غَيْرِ تَأوِيْلٍ، وأَعْطى للحَرَكَةِ قِيْمَتَها الدّلاليّـةَ، وهـي قِيْمَتُها في العَطْفِ، وحَافَظَ عَلَى النَّسَقِ القُرآنيِّ مِنْ غَيْرِ تَقْدِيْمٍ أَوْ تأخِيْرٍ.

وفي هذه المَسْأَلَةِ آرَاءٌ أخرى كَثِيْرَةٌ، لا أَجِدُ مُسَوِّغًا لِبَحْثِها مُفَصّلَةً؛ لأَنّه قَدْ رَدَّها النُّحَاةُ مِنْ جِهَةِ المَعْنى والإعْرَابِ، وهي:

الأوّلُ: أَنْ يَكُونَ خَبَرُ (إنَّ) مَحْذُوفًا قَبْلَ الصّابِئِينَ، ثُمَّ تَبْتدئ بـ(الصّابِئون)، والتَّقْـدِيْرُ: إنّ الّذين آمنو والّذين هَادُوا يُرْحَمُونَ والصّابئون، وهو قَوْلٌ غَيْرُ مَشْهُورٍ يُنْسَبُ إلى هِشَامِ بنِ مُعَاوِيَةَ مِـن الكُوفِيّين(٢٠٦).

الثّاني: أَنْ يَكُونَ الصّابِئونَ مَرْفُوعا عَلَى الابْتِدَاءِ، وخَبَرُه مَحْذُوفٌ مِنْ غَيْـرِ أَنْ يُنْـوى بِـهِ التَّأخِيْرُ(٢٠٧).

الثّالثُ: أَنْ يَكُونَ الصّابِئونَ مَنْصُوبًا، وقَدْ جَاءَ عَلَى لُغَةِ بَنِي الحَارِثِ بن كَعْبٍ(٢٠٨).

الرّابِعُ: أَنْ يُجْعَلَ النُّونُ في (الصّابِئونَ) حَرْفَ إعْرَابٍ(٢٠٩).

الخَـاتِمَـةُ

ظَهَرَ في هذه الدّرَاسَةِ أَنَّ الكُوفِيّيْنَ يَجْعَلُونَ المَعْنى مَنَارًا لَهُم يَسْتَنِيْرُونَ بِهِ في أَعَارِيْبِهِم، وقَـدْ جَعَلوه أَيْضًا مَدَارًا يَدُورُونَ حَوْلَهُ حَيْثُ دَارَ، وهذا هو هَدْيُ النُّحَاةِ الّذينَ جَعَلُوا الإعْرَابَ فَرْعًا للمَعْنى، ومُبَيِّنًا لَه، وكَانَ المَعْنى قَائِدَهم إلى الإعْرَابِ، وقَدْ تَبَيّنَ ذلكَ مِنْ خِلالِ مَجْمُوعَةٍ مِن السِّـمَاتِ الّـتي تَخُصُّ النَّحْوَ الكُوفيِّ، وأَوَدُّ أَنْ أُبَيِّنَ أَهَمّها:

أَوّلاً: لَجَأَ الكُوفِيُّونَ إلى زِيَادَةِ بَعْضِ الحُرُوفِ وحَذْفِ بَعْضِها إذا كَانَتْ هذه الحُرُوفُ تَعْتَرِضُ الوُصُولَ إلى المَعْنى المَفْهُومِ مِنْ التَّرْكِيْبِ، فَقَالُوا بِزِيادَةِ (مَا) في (لَمّا) الجَازِمَةِ عِنْدَما وَجَدُوا أَنّها لا تَدُلُّ عَلَى تَوقّعٍ، وقَالُوا بِزِيادَةِ الواوِ في الشّرْطِ بَعْدِ (إذا) لَمّا كَانَ المَعْنى يُفْهَمُ دُونَها، وقَالُوا بِحَذْفِ (لا) بَعْدَ (أَنْ) لَمّا وَجَدُوا أَنَّ المَعْنى لا يَتِمُّ بِدُونِها.

---

(٢٠٦) انظر الدّرّ المصون٤/٣٥٩

(٢٠٧) انظر التّبيان١/٤٥١ والدّرّ المصون٤/٣٦٠

(٢٠٨) انظر التّبيان١/٤٥٢ ومشكل إعراب القرآن٢٣٢ والدّرّ المصون٤/٣٦٠

(٢٠٩) انظر التبيان١/٤٥٢ والدّرّ المصون٤/٣٦١

ثَانيًا: اتّسَعَ الكُوفيّونَ في السَّمَاعِ مِنْ أَهْلِ اللّغَةِ في بنائهِم لقَوَاعِدِ اللُّغَةِ، فَكَانُوا يَعْتَدُّونَ بِكَلامِ العَرَبِ، شِعْرِهِ ونَثْرِهِ، فَإذا خَالَفَ السَّمَاعُ القَاعِدَةَ النَّحْوِيَّةَ وأَيَّدَهُ المَعْنى أَخَذُوا بِالسَّمَاعِ المُؤَيَّدِ بالمَعْنى، وتَرَكُوا القَاعِدَةَ.

ثَالثًا: يَذْهَبُ الكُوفيُّونَ أَحْيَانًا إلى البَحْثِ عَنْ مُسَوّغاتٍ لِقُبُولِ التَّرْكِيبِ إذا لَمْ يَقْبَلْه العَقْلُ، وكَثُرَتْ الشَّوَاهِدُ عَلَيْه، وقَبِلَهُ المَعْنى، وذلكَ مِثْل مَا حَصَلَ في إضَافَةِ الصِّفَةِ إلى المَوْصُوفِ، فهم لَمّا وَجَدُوا المَعْنى مَقْبُولاً مَع كَثْرَةِ الشّوَاهِدِ بَحَثُوا عَنْ مُسَوِّغٍ لِقُبُولِ هذا التَّرْكِيبِ، فَذَهَبُوا إلى مُسَوِّغِ اخْتِلافِ لَفْظَي المُضَافِ والمُضَافِ إلَيْه.

رَابِعًا: كَانَ الكُوفيّونَ بَعِيْدِيْنَ عَنْ تَغْيِيْرِ النَّظْمِ بالتَّقْدِيْمِ والتَّأْخِيْرِ، أَو الحَذْفِ والتَّقْدِيْرِ، وآثَرُوا أَنْ يُخَرّجُوا المَسَائلَ النَّحْوِيَّةَ تَخْرِيْجًا يُحَافِظُونَ فِيْه عَلَى المَعْنى وعَلَى النَّظْمِ، وذلك مِنْ خِلالِ إعطَاءِ الأَوْلَوِيّةِ للمَعْنى، ولَيْسَ للقَاعِدَةِ النَّحْوِيّةِ، فَإذا كَانَ الخُرُوجُ عَن القَاعِدةِ النَّحْوِيّةِ يُحَافَظُ فِيْه عَلَى المَعْنى فَهُو أَوْلى مِنْ تَخْرِيْجٍ آخَرَ يُبْعِدُنا عَن المَعْنى، ولا يُحَافَظُ فِيْه عَلَى النَّظْمِ، فَهُم عِنْدَما أَجَازُوا العَطْفَ قَبْلَ تَمَامِ الخَبَرِ حَافَظُوا فِيْه عَلَى النّسَقِ القُرآنيِّ، ولَمْ يُقَدِّمُوا ويُؤَخِّرُوا.

خَامِسًا: لا يَعْنِي هذا أَنَّ الكُوفِيّيْنَ لَمْ يَذْهَبُوا إلى التَّقْدِيْرِ والتَّأْوِيْلِ، ولكنَّهُم لَمْ يُبَالِغُوا في اسْتِعْمَالِه، وقَدْ وَرَدَ في هذه الدّرَاسَةِ تَقْدِيْرُهُم في النَّصْبِ عَلَى المَدْحِ للفِعْلِ (أَذْكُرُ)، وقَدْ تَبَيّنَ أَنّ تَقْدِيْرَ الكُوفِيّيْنَ في المَسْأَلَةِ أَوْلى مِنْ تَقْدِيْرِ غَيْرِهِم؛ لأَنَّه يَتَناسَبُ مَع مَعْنى المَدْحِ، وقَدْ لَجَأَ الكُوفِيّونَ إلى التَّقْدِيْرِ في مَوْاطِنَ أُخْرى.

سَادِسًا: يُؤَكِّدُ حِرْصَ الكُوفِيّيْنَ عَلَى المَعْنى أَنَّهُم لَمّا رَأَوا اللَّفْظَ يَنْقَطِعُ عَنْ لَفْظِه في الصّورَةِ لا في المَعْنى أَوْجَدُوا لَهُ بَابًا جَدِيْدًا يُحَافِظُونَ فِيْه عَلَى مَعْنَاهُ الّذي هو عَلَيْه، وهو بَابُ النَّصْبِ عَلَى القَطْعِ، ولَمْ يَنْقُلُوا الأَلْفَاظَ إلى بَابٍ آخَرَ لَهُ دَلالَةٌ أُخْرى مُخْتَلِفَةٌ عَنْ دَلالَةِ هذا اللّفْظِ، وذلكَ حِفاظًا عَلَى مَعْنَاه.

قَائِمَةُ المَصَادِرِ والمَرَاجِعِ

١. ائتلاف النّصْرة في اخْتلاف نُحاة الكوفة والبصْرة، عبد اللّطيف بن أبي بكر الشّرجي، تحقيق د . طارق الجنابي، ط١، مكتبة النهضة العربية، عالم الكتب، بيروت ١٩٨٧م.

٢. ارتشاف الضّرب من لسان العرب ، أبو حيّان الأنْدلسي ، تحقيق د. رجب عثمان ، ط١ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٩٩٨م .

٣. أسرار العربية، الإمام أبو البركات الأنباري، تحقيق د. فخر صالح قدارة، الطبعة الأولى، دار الجيل - بيروت - ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.
٤. الأصول في النحو، تأليف: أبو بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي، تحقيق د.عبد الحسين الفتلي، ط٣، مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.
٥. إعراب القرآن، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، تحقيق د.زهير غازي زاهد، الطبعة الثالثة، عالم الكتب - بيروت - ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م.
٦. إعراب ما يشكل من ألفاظ الحديث النبوي، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري الحنبلي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه د. عبد الحميد هنداوي، الطبعة الأولى، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، مصر/ القاهرة - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٧. الإفصاح ببعض ما جاء من الخطأ في الإيضاح لابن الطراوة ، تحقيق د.حاتم الضامن ، ط١ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ١٩٩٠ .
٨. الاقتراح في علم أصول النحو للسيوطي، تحقيق: د. أحمد الحمصي ود.محمد أحمد قاسم، ط١، جروس برس ١٩٨٨ .
٩. أمالي ابن الشّجري ، ابن الشجري علي بن محمد ، تحقيق د. محمود الطناحي ، ط١، مكتبة الخانجي القاهرة ١٩٩٢م .
١٠. إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٥٢ .
١١. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري النحوي، محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر — دمشق.
١٢. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، جمال الدين ابن هشام الأنصاري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الخامسة، دار الجيل - بيروت - ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.
١٣. البرهان في علوم القرآن، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة - بيروت — ١٣٩١هـ.

١٤. التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، تحقيق علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه. .
١٥. التبيين عن مَذاهب النّحويين البصريّين والكوفيّين، أبو البقاء العكبري، تحقيق د. عبد الرحمن العثيمين، ط١، مَكتبة العبيكان، الرياض ١٤٢١ـ٢٠٠٠م .
١٦. تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب، للأعلم الشنتمري، تحقيق د. زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٩٩٤م.
١٧. التَصريح بِمَضمون التّوضيح ، خالد بن عبدالله الأزهري ، تحقيق د. عبدالفتاح بحيري ، ط١ ، ١٤١٣ -١٩٩٢م.
١٨. تفسير أبي السّعود الموسوم بـ(إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي – بيروت
١٩. تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وزملائه ط١، دار الكتب العلمية-لبنان/ بيروت- ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
٢٠. تفسير البغوي، تأليف: البغوي، تحقيق خالد عبد الرحمن العك، دار المعرفة – بيروت.
٢١. تفسير البيضاوي (المُسمّى أنوار التنزيل وأسرار التّأويل) ، أبو سعيد عبدالله بن عمر البيضاوي، دار الفكر – بيروت
٢٢. تفسير الثّعالبي الموسوم بـ(الجواهر الحسان في تفسير القرآن)، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت.
٢٣. تفسير القرآن (تفسير ابن أبي حاتم)، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، تحقيق أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية – صيدا.
٢٤. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
٢٥. تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، الفيروز آبادي، دار الكتب العلمية – لبنان.
٢٦. توضيح المقاصد بشرح ألفيّة ابن مالك، للمرادي، تحقيق د.عبد الرحمن علي سليمان، ط١، دار الفكر العربي، القاهرة١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

٢٧. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر، دار الفكر - بيروت — ١٤٠٥هـ.

٢٨. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الشعب — القاهرة.

٢٩. الجمل في النحو، لابن شقير، المنسوب الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق د.فخر الدين قباوة - ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.

٣٠. الحماسة البصرية، صدر الدين علي بن الحسن البصري، تحقيق مختار الدين أحمد، عالم الكتب - بيروت - ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٣١. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق محمد نبيل طريفي/اميل بديع اليعقوب، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٩٨م.

٣٢. الدّرّ المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف المعروف بالسّمين الحلبي، تحقيق د.أحمد محمّد الخرّاط، ط١، دار القلم، دمشق١٩٨٦م.

٣٣. الدر المنثور، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت،١٩٩٣.

٣٤. الدرر اللوامع على همع الهوامع شرح جمل الجوامع في العلوم العربية ، أحمد بن الأمين الشنقيطي، مؤسسة الرسالة، ط٢، بيروت ١٩٩٤

٣٥. ديوان بشر بن أبي خازم ، تحقيق : د. عزّة حسن، منشورات وزارة الثقافة ، ط٢، دمشق ١٩٧٢.

٣٦. ديوان تأبّط شرّا، جمع و تحقيق : علي ذو الفقار شاكر، دار الغرب الإسلامي، ط١ ، ١٩٨٤ .

٣٧. ديوان رؤبة بن العجاج، اعتنى بتصحيحة وليم بن ألورد، منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع و النشر، بيروت .

٣٨. ديوان الراعي النميري، حققه : راينهرت فايبرت ، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت ١٩٨٠.

٣٩. زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، الطبعة الثالثة، المكتب الإسلامي - بيروت — ١٤٠٤هـ.

٤٠. شذور الذهب في معرفة كلام العرب، عبد الله جمال الدين ابن هشام الأنصاري، تحقيق عبد الغني الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع - سوريا - ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

٤١. شرح أبيات سيبويه لابن السيرافي ، تحقيق : محمد على سلطاني دار المأمون للتراث ١٩٧٩م.

٤٢. شرح أبيات سيبويه لأبي جعفر النحاس ، تحقيق : د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية ، ط١ ، ١٩٨٦م.

٤٣. شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، علي بن محمد الأشموني ، بأعلى حاشية الصبان ، دار إحياء الكتب العربية ، فيصل عيسى البابي الحلبي

٤٤. شرح ألفيّة ابن مُعْطٍ، القوّاس الموصلي عبد العزيز بن جمعة، تحقيق د. علي موسى الشوملي ، ط١ ، مكتبة الخريجي ، الرياض ١٩٨٥م.

٤٥. شرح جُمل الزّجّاجي، علي بن محمّد بن خروف الإشْبيليّ، تحقيق د.سلوى محمد عرب، ط١، منشورات جامعة أم القرى، معهد البحوث العلميّة، مكّة المكرّمة ١٤١٩هـ .

٤٦. شرح الرضي على الكافية ، الرضي الاستراباذي، تحقيق: يوسف حسن عمر، بدون .

٤٧. شرح قطر الندى وبل الصدى، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، الطبعة الحادية عشرة، - القاهرة — ١٣٨٣هـ.

٤٨. شرح الكافية الشافية، ابن مالك، تحقيق د. عبد المنعم هريدي، منشورات جامعة أم القرى، دار المأمون للتراث .

٤٩. شرح اللّمع، لابن برهان العكبري، حقّقه د.فائز فارس، ط١، الكويت، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
٥٠. شرح اللّمع في النّحْو، للواسطيّ الضّرير، تحقيق د.رجب عثمان محمّد، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة١٤٢٠هـ ٢٠٠١م.
٥١. شرح المفصل ، ابن يعيش الحلبي، عالم الكتب، بيروت .
٥٢. العجاب في بيان الأسباب، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي، تحقيق عبد الحكيم محمد الأنيس، الطبعة الأولى، دار ابن الجوزي – السعودية، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
٥٣. الفاخر في شرح جمل عبد القاهر، البعلي محمد بن أبي الفتح ، تحقيق د.ممدوح محمد خسارة، ط١، مطبوعات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت٢٠٠٢م.
٥٤. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الفكر – بيروت.
٥٥. الفصول المفيدة في الواو المزيدة، صلاح الدين خليل بن كيكلدي العلائي، تحقيق د. حسن موسى الشاعر، ط١، دار البشير – عمان – ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.
٥٦. الفوائد والقواعد ، الثّمانيني عمر بن ثابت ، د. عبد الوهّاب محمود الكحلة ، ط١ ، مؤسسة الرسالة ٢٠٠٢م.
٥٧. في المدارس النحوية ، محمد حسين آل ياسين / مجلة المورد ، ج٣ ، عدد ٤ ، وزارة الإعلام ، الجمهورية العراقية ١٩٧٤ .
٥٨. في نَحو اللّغة وتراكيبها، د. خليل عمايرة ، ط٢ ، مؤسّسة علوم القرآن ، دبيّ ١٩٩٠م.
٥٩. الكامل في ضعفاء الرجال، عبدالله بن عدي بن عبدالله بن محمد أبو أحمد الجرجاني، تحقيق يحيى مختار غزاوي، الطبعة الثالثة، دار الفكر – بيروت – ١٤٠٩ – ١٩٨٨
٦٠. كتاب سيبويه، عمرو بن عثمان، تحقيق عبد السّلام هارون، ط١، دار الجيل ، بيروت.
٦١. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٦٢. كَشف المشكلات وإيضاح المعضلات ، الباقولي علي بن الحسين، تحقيق د. محمد أحمد الدالي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق.

٦٣. اللباب في علل البناء والإعراب للعكبري ، تحقيق غازي طليمات وزميله ، مطبوعات مركز جمعة الماجد، دار الفكر ، ط١ ، ١٩٩٥ .

٦٤. لسان العرب لابن منظور ، دار صادر ، بيروت .

٦٥. المتّبع في شرح اللّمع، أبو البقاء العكبري، دراسة وتحقيق عبدالحميد حمد الزَوي، ط١، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي ١٩٩٤م.

٦٦. مجاز القرآن، أبوعبيدة معمّر بن المثنّى، تحقيق محمّد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، بدون تاريخ.

٦٧. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، الطبعة الاولى، دار الكتب العلمية – لبنان – ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.

٦٨. مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنّحو، د.مهدي المخزومي، ط٢، مصطفى البابي الحلبي، مصر.

٦٩. المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديّات، لأبي عليّ الفارسي، تحقيق صلاح الدّين السّنكاوي، مطبوعات وزارة الأوقاف والشّؤون الدّينيّة، إحياء التّراث الإسلامي، مطبعة العاني، بغداد.

٧٠. مشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب القيسي أبو محمد، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤٠٥هـ.

٧١. مَعاني القرآن، الأخفش سعيد بن مسعدة، تحقيق د. هدى قراعة، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٩٠م.

٧٢. مَعاني القرآن، يحيى بن زياد الفرّاء، تحقيق أحمد نَجاتي ومحمد علي النّجّار، دار السّرور.

٧٣. معاني القرآن الكريم، أبو جعفر النّحاس، تحقيق محمد علي الصابوني، الطبعة الأولى جامعة أم القرى – مكة المرمة – ١٤٠٩هـ

٧٤. مَعاني القرآن وإعرابه، للزّجّاج، شرح وتحقيق د. عبـد الجليـل شـلبي،ط١، عـالم الكتب١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

٧٥. معجـم الأدباء، ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت ١٩٥٥، وطبعة مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه - مصر .

٧٦. المفصل في صنعة الإعراب، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيـق: د.علـي بوملحم، ط١، مكتبة الهلال - بيروت — ١٩٩٣م.

٧٧. المقاصد النّحويّة في شرح شواهد الألفيّة، بدر الدّين محمود بن أحمد العيني، تحقيق محمّد باسل السّوّد، ط١، دار الكتب العلميّة،١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م.

٧٨. المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق محمد عبد الخـالق عظيمـة، عـالم الكتب- بيروت.

٧٩. نُزهة الألباء في طبقات الأدباء، لأبي البركات الأنباري، تحقيق محمّد أبوالفضل إبراهيم، ط١، المكتبة العصريّة، بيروت،١٤٢٤هـ٢٠٠م.

٨٠. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية — مصر.